أزاهر
وما أوتيتم من العلم إلا قليلا

محرَّم ١٤٤٠ هـ | أيلول ٢٠١٨ م
نشرة شهرية مجانية تصدر عن أزهر البقاع

العدد ٨٤

يا قادة.. وَ يا حاكمين..

متى نحقق وحدة المسلمين ؟



- لماذا انقلب الغرب على تركيا
- مفهوم السنة وَالبدعة



جامعة بيروت الإسلامية
كلية الشريعة - أزهر البقاع

تستقبل حملة الشهادات الثانوية الرسمية اللبنانية
وما يعادلها، وهي تمنح خريجيها إجازة جامعية في الشريعة الإسلامية معادلة ومصادقة من وزارة التربية والتعليم . حسب الأصول

يبدأ التسجيل للعام الجامعي ٢٠١٨-٢٠١٩
يوم السبت الواقع في ٢٠١٨/٨/٢٢
ويستمر لغاية يوم السبت الواقع في
٢٠١٨/١٢/١٥

لمزيد من المعلومات الاتصال على
٠٨٦٢٢٠١٧ / ٧١١١٣٤٣٢

مجلة أزاهر شهرية مجانية تصدر عن **أزهر البقاع**, نهاية كل شهر هجري, وهي مجلة شاملة ومنوعة, تعنى بالقضايا الدينية والثقافية والاجتماعية, ويساهم في كتابتها مجموعة من أصحاب العلم والرأي الحر والفكر المستنير من لبنان والوطن العربي, قال تعالى (قُل هَلْ يَستَوِيْ الذينَ يَعلَمُونَ وَالّذينَ لا يَعلَمون) وبالاستناد إلى هذه الآية الكريمة وأمثالها, أردنا أن تكون مجلة أزاهر (مدرسة للمتعلم وتذكرة للعالم) من أجل الرقي بالمستوى الثقافي والحضاري لدى القارئ الكريم, آملين أن تشارك المجلة في النهضة العلمية والفكرية لوطننا العربي وعالمنا الإسلامي والله من وراء القصد

08622727 | 70141360 | marwanmais38@yahoo.com | www.azahermag.com

Designed by : **Saleh Ahmad** | salfree95@gmail.com | 76942706



كلـمة العـــدد

٨٤

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و أما بعد، نقدم أخلص التهاني و التبريكات لمناسبة العام الهجري الجديد، راجين منه سبحانه و تعالى أن يعيده علينا بالخير و البركة، و كل عام و الجميع ينعمون بالأمن و السلام إن شاء الله، قبل سقوط الدولة العثمانية كانت الأمة العربية و الاسلامية و احدة مصداقا لقوله تعالى: **(وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)**، و بعد سقوط الدولة العثمانية و سيطرة الدول الإستعمارية، بدأ تقسيم الوطن العربي، الذي صار يعاني التشرذم و التفكك، و يعيش في ظل الأزمات على المستويات كافة، و قد تعمدت ذلك الدول الإستعمارية، التي تقاسمت السيطرة على العرب، وذلك بوساطة نشر الفكر الخلافي والتقسيمي بين أبناء الوطن الواحد، وغير ذلك مما ساهم في تدهور الأوضاع العربية والإسلامية، حتى وصل الأمر إلى ما وصلنا إليه الآن، كل ذلك بتدخل دول الغرب والتي - مع الأسف - يعتبرها بعضهم صديقة العرب، و هي أخطر ما تكون على دولنا العربية و الإسلامية، واليوم نشهد في لبنان جزءا من هذا الخلاف بدعاوى و حجج اختلاف الطوائف و المذاهب، و السؤال الذي يطرح نفسه هل من سبيل الى عودة الوحدة إلى أبناء الوطن الواحد، الذي نشأ وترعرع فيه الجميع، لبنان الوطن الذي أنجبهم ؟؟ و نعتقد أن ذلك ممكن بتغليب المصلحة العامة على المصالح الضيقة الشخصية والأنانية؟ خاصة و نحن اليوم أمام إستحقاق هام هو تشكيل الحكومة، بعد أن تم تكليف دولة الرئيس سعد الحريري بهذه المهمة ؟؟ هذا ما نأمله و نتمناه من أجل وطننا لبنان و وحدته و عزته و كرامته، و في هذا الموضوع كتب سماحة المفتي مقاله القول الفصل بعنوان **(وحدتنا واجبة علينا)**، و مما جاء فيه من الضروري أن نعي خطورة التحديات الخارجية لأعداء العرب و المسلمين، و أن نكون على مستوى المسؤولية و أن نقدم على العمل من أجل إنقاذ العرب و المسلمين مما حل بهم بعد سقوط الدولة العثمانية، و لتكن الوحدة طريقنا للعزة و الكرامة في ظل التعايش المشترك ، بقصد تحقيق ما فيه خير الجميع، و كما عودنا قراءنا الكرام ففي هذا العدد مقالات دينية و اجتماعية و سياسية و أدبية متنوعة و غيرها، كتبها أساتذة أفاضل من لبنان و الوطن العربي، نأمل أن تنال رضاكم ، و نترككم مع هذا العدد على أمل أن نلتقيكم في عدد قادم بإذنه تعالى ، فإلى ذلك الحين لكم منا أجمل تحية و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

أسرة التحرير : د.رعد مقبل العبيدي - الشيخ مروان الميس - د.نادر جميل جمعة

محتويات العدد

القول الفصل 3
أخبار الأزهر 7
دولة الرعاية الاجتماعية 8
الهداية كيف تكون 13
الإيمان 18
مفهوم السنة والبدعة 21
مقاصد الشريعة 23
الوقاية من التطرف ضرورة المجتمع 25
دور الخطيب وَ المسجد في الوقاية من التطرف 28
مقالات لا تنسى 31
التطبيع مع الصهاينة 35
عهد كانت وستبقى حرة 40
عهد التميمي - عهد عربي واعد 42
لبنان الحائر وَالمحير 44
إيران الدولة المنبوذة والمارقة 46
لماذا انقلب الغرب على تركيا 48
روائع الشعر 50
الوجوه والنظائر 51
المجلس الدستوري 52
سعادة الأستاذ 56
الأسرة في مهب الريح 62
كيف نبني سلوك أطفالنا 65
الفكر الإداري الإسلامي 67
نترككم بحفظ الله 72





الشيخ خليل الميس
مفتي زحلة والبقاع

القول الفصل | **وحدتنا واجبة علينا**

ا لحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وعلى آله وصحبه، و أما بعد،

جاء في القرآن الكريم: إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92) الأنبياء

وهذه الآية الكريمة تثبت واحدا من عليه وسلم، والإسلام هو الذي وحد مفاهيم القبائل العربية ونظراتهم إلى الوجود، وارتقى بمقاييسهم الأخلاقية، ونقلهم من وحدة الأرض والدم واللغة، إلى وحدة العقيدة والفكر، فجعل بينهم انسجاما روحيا وفكريا صار لهم بمثابة فلسفة شاملة للحياة، قائمة على قيم الإسلام في التواد والرحمة، والله سبحانه وتعالى يقول: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)آل عمران

وهكذا جعل الله للمسلمين رسالة ذات مثل عليا، واتجاهات انسانية مبنية على قيم أخلاقية، فانتقل المسلمون من العزلة إلى رحاب الإنسانية، بأن انتشر الإسلام من الصعيد المحلي إلى الصعيد العالمي، وامتد في مشارق الأرض ومغاربها.

وبوجود النبي الكريم كانت الوحدة ظاهرة لا شك فيها، فالصحابة الكرام كانوا يستمعون إلى ما يخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ويعملون به، وإذا أشكل عليهم أمرٌ ما، كانوا يرجعون إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأن القرآن الكريم يقول:
(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) النساء (65(

والرسول الكريم بحكم القرآن (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) النجم. فكان صلى الله عليه و سلم يحكم بما أنزل الله مصداقا لقوله تعالى :

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ

اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10(الشورى فكانت اجاباته صلى الله عليه و سلم، هي القول الفصل، الذي يلتزم به جميع الصحابة الكرام، فلم تكن عند المسلمين حينئذ مشكلة خلافية تستعصي على الحل بوجود الرسول محمد صلى الله عليه و سلم. و بعد وفاته عليه الصلاة و السلام كان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، يعملون بالقرآن الكريم و السُنة، و ربما كانوا يسألون الصحابة الكرام هل عندهم علم بما عمل به الرسول صلى الله عليه و سلم في حادثة ما، فإن عرفوا ما قام به الرسول الكريم طبقوه على المسألة موضوع البحث، وكان الخلفاء الراشدون يتشاورون في المستجدات فيفصلون فيها بالإجماع، فكانت هذه الوسائل مدعاة لوحدة الرأي و العمل للمسلمين، و هكذا تجلت الوحدة الإسلامية على أروع ما تكون زمن الخلفاء الراشدين.

و لكن لم تستمر هذه المظاهر و الممارسات، فاهتزت الوحدة الدينية -مع الأسف الشديد- نتيجة خلافات على طريقة الحكم، و ليس على أسس أو مباديء الإسلام، فهذه كانت و مازالت مجمعا عليها كما أنزلت أول مرة، و آمن بها المسلمون في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، و لكن الإنتقادات ظهرت بشأن اجتهادات معينة في الحكم زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه، و كان من الممكن الوصول إلى حلول مرضية للجميع، و كاد المسلمون أن يتوصلوا بالفعل لحلول مجمع عليها، و لكن أعداء الإسلام الذين يتربصون به، استغلوا الوضع و بثوا سموم الفرقة و الفتنة المعروفة، التي انتهت بقتل الخليفة عثمان مظلوما، و اتسعت شقة الخلاف كما يذكر لنا التأريخ، حيث صار مقتل الخليفة سببا مضافا لخلاف على السلطة و الحكم، و تطور الأمر مع الأسف إلى حروب دامية بين مسلمين هم أخوة في الدين، و لكن هذه الحوادث انتهت، و قامت للمسلمين دولة للخلافة أشاعت الأمن و الهدوء، حيث استتب الحكم، ثم اهتدت إلى نور الإسلام شعوب في الشرق و الغرب، و تمكن المسلمون و العرب من إقامة حضارة عرفت بالعصر الذهبي للإسلام.

و باتساع رقعة دولة الخلافة الإسلامية، احتاج المسلمون إلى من يعلمهم دينهم و يفسر لهم قرآنهم و يعرفهم بسُنة نبيهم، فأنعم الله سبحانه و تعالى على الإسلام بفقهاء تفتحت عقولهم بهدي الدين، و ما جاء في القرآن الكريم و سُنة خاتم النبيين الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، و الله سبحانه و تعالى كرم البشر، و جاء في القرآن الكريم : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (-70 الإسراء)، و من كرم الله سبحانه و تعالى نعمة العقل و الحكمة لبني البشر، و القرآن الكريم ينصُّ على : يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (-269 البقرة)،.

و لإمرٍ ما قدره الله سبحانه و تعالى نجد أن البشر يختلفون في قدراتهم العقلية، و هكذا قد يختلف الفقهاء في استنباط الأحكام التي

يرغبون في أن يعمل المسلمون بموجبها، أو تطبيقها على الحالات المستجدة، و بحكم عاملي الزمان و المكان، و علم و تمكن كل فقيه في العلم، ربما نجد أكثر من رأي فقهي في مسألة ما، و هذا أمر متوقع و لا تثريب عليه، و هكذا ظهرت ما عرفت بالمذاهب الإسلامية، و كانت نتيجة سعي الفقهاء إلى تعليم المسلمين أصول دينهم و سُنة نبيهم، و المذاهب الإسلامية في جوهرها وجهات نظر مستندة إلى القرآن الكريم و السُنة النبوية أو مستنبطة منهما، و عادة ما تحفل المذاهب الإسلامية بفتاوى للحكم بشأن المستجدات التي لا نص عليها في القرآن الكريم أو السُنة النبوية، و بالطبع كان الفقهاء ينطلقون من القرآن أو السُنة و يقيسون الجديد بالقديم، فإن وجدوا علّة مشتركة عملوا بحكم ما هو مستند إلى القرآن أو السُنة، و كل ذلك بتوفيق من الله،

و نتيجة من ظروف داخلية و خارجية مرت بالمسلمين أدت إلى ضياع ملكهم، و آخر ما كان هو سقوط الدولة العثمانية، التي امتد حكمها إلى مئات السنين، و قد بسطت سلطتها على بقاع شاسعة امتدت في قارات آسيا و إفريقيا و أوروبا، و تقاسمت ممالك المسلمين قوى استعمارية غاشمة، و هكذا ورثنا دولاً مقسمة تئن من ثقل الدول الاستعمارية و سياساتها القائمة على نهب خيرات المسلمين، و بث التفرقة بينهم، و إشاعة الفتنة الطائفية بحجة اختلاف المذاهب، و جعل أتباعها المسلمين في صراع دائم تتنوع مظاهره، حتى وصلنا إلى القتال الدموي و الحرب التي أتت على الأخضر و اليابس، و تسببت في دمار الأوطان و هجرة المسلمين و تشردهم، و ألحقت بنا كوارث في أكثر من قطر عربي و إسلامي، و لو عدنا إلى التأريخ القريب لعلمنا أن ما تعرف بالدول الأوروبية في القرن العشرين وحده قد خاضت حربين مدمرتين، كانت الحرب العالمية الأولى التي نشبت في تموز 1914م، و انتهت في نهاية سنة 1918م، و تسببت بمقتل ما يقرب من عشرة ملايين من الجنود و أكثر من سبعة ملايين من المدنيين، و دمرت مدنا كاملة، و أجهزت على اقتصاد الدول المتحاربة، أما الحرب العالمية الثانية فقد اندلعت في سنة 1939م، و انتهت في سنة1945م، و كانت حصيلتها مقتل أكثر من ثمانين مليونا من البشر، و دمار غير مسبوق للمدن و المصانع.

و لكن في سنة 1951م و ما بعدها نجد أن بعض الدول الأوروبية التي تحاربت حربين مدمرتين في مدة عشرين سنة، قد قررت نبذ الحرب و الفرقة و الإتجاه إلى الوحدة و إقامة كيان سياسي موحد، و قد تناست كل خلافاتها الكثيرة و العميقة، و التي أدت إلى نزاعات متعددة حتى قبل الحربين العالميتين، و ها هي دول الإتحاد الأوروبي دول موحدة على الرغم من اختلاف لغات شعوبها و معتقداتهم الدينية، و غير ذلك من الإختلافات، و لو نظرنا لحال الدول العربية و الإسلامية فسنجد أن هذه الدول هي الأجدر بالوحدة، لأن شعوبها أبناء أمة واحدة، تجمعهم اللغة العربية، إما باعتبارها اللغة الأم أو الثانية، لأنها لغة القرآن الكريم الذي يقرأه بالعربية جميع المسلمين، و لنا تأريخ مشترك واحد، و كنا في دولة إسلامية واحدة إلى بداية القرن العشرين.

و قياسا على ما تم تحقيقه في دول الإتحاد الأوروبي نقول: إن وحدة المسلمين تحل السلم محل الحرب، و الإقناع محل الإكراه، و تجعل الحوار سبيل التواصل، فيرتقي العمل السياسي إلى السلوك الإنساني الذي يطمح إليه الجميع، فإذا خلصت و صدقت النوايا يختلف الحال، من واقع مفكك و تخلف في مجالات عدة، ليرتفع العرب و المسلمون إلى واقع موحد مبني على الوحدة في الفكر و العمل، مما يتيح فرصة لبناء إسلامي جديد، يسعى إلى التقدم و التطور خدمة للصالح العام، لكي يلتحق العرب و المسلمون بركب الحضارة من جديد، و نشير إلى أن الوحدة لا يكفي لها أن نعلن عن مشاعرنا بشأنها.

و نحن نعلم أن مشاعر العرب و المسلمين هي مشاعر متشابهة و أمنياتهم تكاد تكون واحدة، و لكن هذا لا يكفي فلا بد من عمل تنظيمي هادف مستند إلى الفكر الإسلامي المستنير و العمل الجاد بتلك الحمية و الفاعلية التي عرفت عن الرسول صلى الله عليه و سلم، و الذي استطاع أن يشيعها في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، فاندفعوا إلى العمل بتلك الهمة و الإخلاص و التجرد و التضحية بالغالي و النفيس، من أجل نشر الرسالة و تثبيت دعائم دولة الإسلام القائمة على الحق و العدل.

إذن من الضروري أن نعي خطورة التحديات الخارجية لأعداء العرب و المسلمين، و أن نكون على مستوى المسؤولية و أن نقدم على العمل من أجل إنقاذ العرب و المسلمين مما حل بهم بعد سقوط الدولة العثمانية، و لتكن الوحدة الدينية طريقنا للعزة و الكرامة في ظل التعايش المشترك، بقصد تحقيق ما فيه خير الجميع، و خير ما نختم به قول الشاعر العربي:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا
و إذا افترقن تكسرت آحادا

ألا هل بلغت اللهم فاشهد.



أخبار الأزهر

محاضرة علمية

بتأريخ 3\8\2018 م وبرعاية سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس نظم مركز البحث العلمي محاضرة للدكتور زغلول النجار بعنوان (آخر المستجدات في قضايا الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) حضرها عدد من العلماء وفاعليات المنطقة، وقد تضمنت المحاضرة عرض بعض الصور على شاشة سليت توضح أهمية الإعجاز بالإستناد للبحوث العلمية الحديثة.

لقاء المغتربين السنوي

بعد صلاة المغرب ليوم الجمعة 7-9-2018، أقامت دار الفتوى في البقاع لقاءً تكريمياً للإخوة المغتربين، وقد بدأ الحفل بتلاوة آيات من القرآن الكريم، وألقى كلمة المغتربين فضيلة الشيخ علي فرحات الذي شكر مؤسسات دار الفتوى في البقاع على جهدها المتواصل مع أبنائها في المهجر،وبعد ذلك ألقى سماحة الشيخ خليل الميس كلمة ترحيبية شكر فيها المغتربين على دعمهم ومساعدتهم لمسيرة الأزهر العلمية والثقافية وغيرها من المساعدات المالية والعيينية للفقراء والمساكين وذوي الحاجات.

دورة تدريبية

نظمت إدارة أزهر البقاع في القاعة الحمراء دورة تدريبية بعنوان "معلم صانع حضارة" وقد حضر الدورة أساتذة أزهر البقاع وبعض المثقفين والتربويين.

زيارة

أسرة تحرير مجلة أزاهر و الأستاذ كمال الدين العفش زاروا جميعا السيد إبراهيم بيضون في مقر الدار العلمية للنشر، وذلك لتقديم الشكر لصاحب الدار على دعمه ووقوفه إلى جانب مؤسسات أزهر البقاع و الدور الذي يقوم به لنشر العلم والثقافة.

لقاء

سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس التقى في مكتبه رئيس مؤسسة أديان الدكتور فادي ضو والدكتورة نايلا طبارة والسيد أحمد ناجي، وقد بحث الطرفان في مستجدات الواقع اللبناني، وجرى التطرق إلى أوضاع المنطقة و النزاعات والحروب المشتعلة فيها، هذا وقد شدد الطرفان على تكثيف الجهود وتوحيدها من أجل بث فكر التعايش والسلام في المنطقة وأهمية الدور الذي ينبغي القيام به من أجل تعزيز و تحقيق الأمن في وطننا لبنان و المنطقة .

مشروع الأضاحي

برعاية وتوجيه سماحة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس، نفذ صندوق الزكاة التابع لدار الفتوى في البقاع مشروع الأضاحي السنوي ، و ذلك ثاني أيام عيد الأضحى المبارك لسنة 2018م، حيث تم توزيع سبعين خروفاً وخمسة عشر عجلاً على ألف وثلاثمئة أسرة من الفقراء والمحتاجين ، و من جهة أخرى و بالتنسيق مع الشيخ حسين سميدي رئيس دائرة المغتربين، قامت مشكورة جمعية الإتحاد المسلم للإغاثة و رئيسها الأستاذ أيمن أبو رحمة بالمساهمة في مشروع الأضاحي لهذه السنة، و ذلك بتقديم خمسين أضحية بقيمة عشرة آلاف دولار، كذلك ساهمت جمعية الحياة الأمريكية بتقديم الأضاحي هذا العام أيضاً، و لهذه المناسبة تقدم دار الفتوى في البقاع الشكر والإمتنان لجمعية الإتحاد المسلم للإغاثة ممثلة برئيسها الأستاذ أيمن أبو رحمة ، و جمعية الحياة الأمريكية و كل من ساهم في مشروع الأضاحي





د. نـادر جمعـة
أستاذ جامعي من لبنان

دولة الرعاية الاجتماعية في الفكر وَالممارسة

النظام التدخلي هو نظام يقوم على الحرية "المعقلنة"، أي إنه نظام لا يقصر دور الحكومة على الحد الأدنى الضروري لتسيير شؤون البلاد؛ بل يسمح لها في التدخل لصالح الفئات الدنيا في المجتمع، فيقيم "دولة-العناية" بدلا من "دولة- الدركي". فهو إذن مختلف عن النظام الليبرالي، كونه لا يترك للطبقة الغنية حرية تكديس الثروات على حساب شقاء الطبقات المسحوقة؛ فيتدخل للحد من الأرباح من جهة، و يقيم الضمانات للفئات الفقيرة من جهة ثانية؛ كما أنه يسمح للحكومة في وضع الخطط الاقتصادية و الاجتماعية، التي تراها ضرورية من أجل نهوض البلاد و تطورها[1].

و عليه فإن هذا النظام إذ يتدخل في مسألة الملكية الخاصة، عندما تصبح مهددة للسلم الاجتماعي، فإنه يقوم عموما على الاحترام المبدئي لملكيات الأفراد. فقد سمحت دساتير بعض الدول الغربية و قوانينها في تأميم المشاريع الضخمة، التي تشكل نوعا من الاحتكار، فيما بقي النظام نظام الملكية الفردية في سائر فروع الإنتاج. و يرى الدكتور أحمد سعيفان في كتابه "قاموس المصطلحات السياسية و الدستورية و الدولية" أنه مع بدايات القرن التاسع عشر بدأ إطلاق وصف "دولة-العناية" على الدول الليبرالية التي تتدخل بفعالية في إدارة و توجيه الاقتصاد، و تقديم الإعانات الاقتصادية و الاجتماعية للمواطنين من تلقاء نفسها أو بناء لطلبهم.

ثم إن **مصطلح "دولة-العناية" يطلق بشكل أوسع و أعم على الوظائف الاقتصادية و الاجتماعية التي تعود إلى الدولة كأداة ناظمة للحياة و المجتمع**[2]. و السؤال الذي يطرح نفسه و بقوة اليوم هو: هل استطاعت الأنظمة العربية الحديثة و المعاصرة التي قامت على أنقاض السلطنة العثمانية أن تحقق الرعاية و العدالة الاجتماعيتين للمواطنين طوال قرن من الزمان؟! ثم لماذا فشلت الأنظمة الاشتراكية و الليبرالية الرأسمالية في الوطن العربي في تحقيق

الرفاه الاجتماعي الذي يحلم به الإنسان العربي؟!.

لقد قدمت الأنظمة العربية في القرن العشرين و بدايات هذا القرن نفسها بديلا و وريثا شرعيا للنظام الإسلامي، كما كانت تطبقه السلطنة العثمانية، و الذي فشل أو أفشل في نهاية المطاف لأسباب كثيرة - سياسية و اقتصادية و اجتماعية و حتى ثقافية- بعد قرون من العمل بموجبه بحسب جهد و اجتهاد الذين طبقوا ذلك النظام على أنه الممثل للرؤية الشرعية الإسلامية كما مورست في ظل حكم العثمانيين، في الوقت الذي كانت تعاني فيه البشرية من فراغ كبير على مستوى الروح و الفكر و القانون. مع الإشارة إلى أن الأساس الأخلاقي الذي قامت عليه و من أجله الدولة الإسلامية هو إحقاق الحق و إنصاف المظلوم و الحفاظ على العمران و البلدان؛ ففي رسالته "الجوهر النفيس في سياسة الرئيس"، يصف ابن الحداد الرياسة و الزعامة (الحكومة)، فيقول:"فإن من وصف الرياسة (الحكومة) العدل في السياسة، لتعمر البلاد، و يأمن العباد، و يصلح الفساد، و تجري الأمور على وفق السداد، و تنتعش الرعية، و تقوى على أداء الفرائض الشرعية، و تلك نعمة من الله أودعها قلوب الولاة و الملوك، لينصفوا بين المالك و المملوك، و الغني و الصعلوك ...و السياسة سياستان: سياسة الدين و سياسة الدنيا[3]. فسياسة الدين ما أدى إلى قضاء الفرض، و سياسة الدنيا ما أدى إلى عمارة الأرض. و كلاهما يرجعان إلى العدل الذي به سلامة السلطان و عمارة البلدان؛ لأن من ترك الفرض ظلم نفسه، و من خرب الأرض ظلم غيره"[4]. وقال بعض الحكماء:"بالراعي تصلح الرعية، و بالعدل تمتلك البرية، و من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه؛ و الظلم مسلبة النعم، و مجلبة النقم، و أقرب الأشياء صرعة الظلوم، و أنفذ السهام دعوة المظلوم"[5].

و اعتبر الإمام الماوردي في كتابه "الأحكام السلطانية":"أن الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا"[6]، مما يعني أن المقصود بـ"سياسة الدنيا" التدبير و التنفيذ، أي المنافع العمومية التي تنشؤها الحكومة لمصلحة المواطنين لزيادة الرفاه الاجتماعي بينهم. و أن مهمة تدبير الولايات العامة و الخاصة، و تقليد الوظائف، و تحقيق المصالح، مثل: الأمن الاجتماعي، و الأمن الاقتصادي، و الأمن السياسي، تعود للحكومة المركزية المكلفة صون الحريات و احترام القانون و إرساء العدالة الاجتماعية بين المواطنين.

و بالموازنة مع ما يجري اليوم في لبنان و الوطن العربي من عدم استقرار في الأمن السياسي، نرى أن القيادات السياسية في لبنان مثلا و حتى لحظة كتابة هذه الأسطر لم تستطع التوافق على شكل الحكومة (السلطة التنفيذية التدبيرية التي ترعى أمور المواطنين)، لأهداف و مآرب لم تعد خافية على أحد من الناس. زيادة على ذلك فإن الاقتصاد الوطني مهدد بالانهيار الكامل نتيجة غياب التخطيط، و عدم وضع الاستراتيجيات الاقتصادية القادرة على إنقاذ البلاد من الانهيار الكامل، زيادة على الهدر و

الفساد الذي تفشى في أكثر مؤسسات الدولة تقريبا، و التضخم الاقتصادي الذي أفقد الليرة اللبنانية قدرتها الشرائية، حتى إن بعض الخبراء الاقتصاديين باتوا يحذرون كل يوم من الإفلاس و عدم قدرة الدولة على دفع الرواتب و الأجور.

أما الأمن الاجتماعي فيرزح تحت وطأة غياب الرقابة على الغذاء و الدواء و العلاج و المستشفيات في كثير من الأحيان، و تفشي الأمراض و الأوبئة بسبب تراكم النفايات و التلوث البيئي في المياه الجوفيه و السطحية الناجم عن النفايات الصناعية التي تفرزها المصانع التي تعود ملكية جزء كبير منها لبعض أرباب السلطة و أصحاب القرار السياسي في البلاد. و لم تستطع الدولة أن تضع حدا لهذه التجاوزات المتراكمة منذ ما يزيد على سنتين و الأزمة مستمرة، و المواطن يئن من عبء غلاء المعيشة و زيادة الضرائب و غياب التأمين على الشيخوخة و عجز الضمان الاجتماعي عن تلبية حاجات المواطنين بالسرعة المطلوبة و ضعف جودة الضمان الصحي و ارتفاع معدل البطالة.

و بالموازنة مع ما يجري اليوم نجد أن الدولة الأموية، و منذ قرون عديدة، استطاعت أن تضع خطة للإنفاق الصحي و الضمان الاجتماعي للمواطنين، و ذلك قبل صدور إعلانات الحقوق بقرون. فقد جاء في كتاب "الإدارة في العصر الأموي" أن نفقات الضمان الاجتماعي في الدولة الأموية تطورت بشكل كبير و ملحوظ... و أن المواطنين من الفقراء في إقليمي الحجاز و العراق في المدة (53-45هـ) كانوا يحملون بطاقات حددت فيها الكمية المخصصة لكل فرد منهم من المعونة العينية؛ و في عهد عمر بن عبد العزيز أصبحت المعونة نقدية و عينية".[7]

و قد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب "الأموال" أن الدولة الأموية في خلافة عمر بن عبد العزيز خصصت معونات نقدية من أجل قضاء دين من أدان من غير سفه، و لا سرف، و تزويج الرجل الذي ليس له مال و له رغبة في الزواج....كما أنه أمر لكل أعمى بقائد، و لكل خمسة من اليتامى بخادم...إلخ[8]

إننا لا نريد أن نعيش في التأريخ، و لكن نتمنى أن نكون جميعنا من المشاركين في صناعة التأريخ المعاصر للعرب و للمسلمين. أما أن تصل الدولة الأموية إلى ما وصلت إليه قبل عشرة قرون، فيما لم تستطع الدول العربية الحديثة و المعاصرة، و منها لبنان، تحقيق العدالة الاجتماعية على الرغم من التطورات العلمية و المنجزات الحضارية التي وصلت إليها البشرية اليوم؛ له أمر يدعو للحيرة، و التعجب، و سؤال الحكام عن ثروة الأمة، و تبديد خيراتها، و نهب ثرواتها، و وضعها في جيوب بعض المتنفذين من ولاة الأمر-الواقع في القرن الواحد و العشرين. و إذا الدولة الحديثة في لبنان و الوطن العربي تزعم أنها تبتغي النهوض و التقدم بمجتمعاتها نحو الأفضل؛ فلماذا كل هذه الفوضى، و لماذا كل هذا الضياع؟! إن هذه الدولة الحديثة لم تستطع أن تحافظ على تراثها، و أن تجاري و تواكب التقدم العلمي و الحضاري الغربي، بينما يزعم بعض قياداتها أن المشكلة تكمن

في الإسلام ثقافة و مجتمعا و منهج حياة. و لتبيان الفارق الكبير بين ما نعانيه اليوم من أزمات مختلفة في شتى جوانب الحياة، و ما كانت عليه الدولة الأموية من كبير العناية و الاهتمام بالشأن الاجتماعي، (كنموذج للمقاربة الموضوعية لشؤوننا الحياتية ليس أكثر)، نذكر ما جاء في كتاب "المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني" إذ جاء أن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك هو أول من أسس مستشفى خاصاً بالمجذومين، و ذلك سنة 88هـ، و جعل فيه أطباء مهرة، و أجرى عليهم الأرزاق (الرواتب و الأجور)، و أمر بعزل المجذومين عن الأصحاء (سياسة الحجر الصحي)، و أجرى على العميان و المجذومين و الفقراء الأرزاق (الرواتب و المخصصات الشهرية).[9]

و في "البداية و النهاية"، يقول ابن كثير:"و قد أعطى الوليد كل مقعد خادما، و كل ضرير قائدا، و قد اهتم بتعبيد الطرقات، و حفر الآبار، و خصص الأرزاق (الرواتب) للعلماء (المفكرين و الفقهاء)، و الضعفاء و الفقراء (الذين لا يطيقون العمل أو ليس لهم معيل)، و حرم عليهم السؤال (التسول)، و فرض لهم ما يكفيهم، كما فرض للعميان و المجذومين (رواتب شهرية).[10]

و إذا كانت وظيفة الدولة الحديثة كما يرى الدكتور عمر حلبلب في كتابه "الاقتصاد السياسي" هي: تحقيق الاستغلال الأمثل لموارد المجتمع، و التوظف الكامل، و الاستقرار الاقتصادي، و التنمية، و الرفاهية الاقتصادية للمجتمع[11]؛ فإننا بدورنا نتساءل و نسأل الحكام و المسؤولين في لبنان و الوطن العربي السؤال التالي: هل الدولة فعلا جادة في استغلال الموارد البشرية و الطبيعية و تنميتها و توظيفها في خدمة المواطنين، في ظل النزاع حول الثروة النفطية في لبنان مثلا، و هجرة الأدمغة و العقول من الوطن العربي إلى الغرب و الدول الصناعية و المتقدمة؟! ثم عن أي استقرار اقتصادي نتحدث في ظل التوترات و التوتيرات الأمنية و السياسية التي يقوم بها بعض المستقوين بالسلاح المتفلت و الخارج على المنظومة الأمنية للدولة في لبنان و بعض دول الجوار، و ارتهان و تبعية بعضهم للخارج ضمن لعبة تحالف الأقليات و اضطهاد الأكثريات في لبنان و بعض دول الإقليم؟!.

كيف يمكن الحديث عن تنمية الموارد البشرية و الطبيعية في ظل عدم قدرة النظام اللبناني خصوصا و العربي عموما على رسم و تحديد حدود بعض هذه الدول و بالتحديد لبنان، و في غياب الدراسات الإحصائية للسكان في لبنان منذ العام 1932م تأريخ الإحصاء السكاني الوحيد الذي أجرته دولة (الانتداب) الفرنسي للسكان في لبنان، و ذلك خوفا من كسر مقولة "المناصفة" بين المسلمين و غيرهم في لبنان على وجه الخصوص؛ بينما بادر النبي الكريم محمد صلى الله تعالى عليه و سلم إلى تحديد حدود الدولة في المدينة بعد الهجرة مباشرة، و طلب إلى المسلمين أن يحصوا له السكان المقيمين في أرض يثرب وقتها، فأرسى بذلك القواعد الأولى لما يسمى

اليوم بالإحصاء السكاني (الديموغرافي)، و رسم و تحديد الحدود جغرافيا.[12]

و في سنة 214هـ أقام الخليفة العباسي المأمون بدمشق لمسح أراضي الشام، و جاء بالمساح من العراق و الأهواز و الري، فعدل أرضها الخراجية، و حمل كل أرض ما تستحقه؛ و في سنة 218هـ أوصى عماله في الشام بحسن السيرة و تخفيف المؤونة و كف الأذى؛ ذكر ذلك الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه "النظم الإسلامية"[13]. و نحن نعيش اليوم في كنف الدولة الوطنية الحديثة و المعاصرة؛ دولة القانون و المؤسسات، الدولة الديموقراطية الحديثة التي لا يجرؤ الحكام فيها على تنظيم مسح جغرافي و عقاري لأراضيها و لحدودها، يحفظ الحقوق و يحل مشكلة الشيوع في العقارات التي توارثها الأبناء عن الآباء و هذا ما أسميه بـ"سياسة تحرير العقارات الشائعة"، و لا يجرأون على إجراء إحصاء سكاني لمواطنيهم، و لا يمنحون التابعية بسهولة إلا ضمن صفقات مشبوهة؛ فيما الدول الأخرى و التي يصنف بعضها على أنها (دول العالم الثالث) لا تجد حرجا في ذلك، بل العكس هو الصحيح، إذ ترى هذه الدول أن هؤلاء المواطنين الجدد هم أمل الأمة، و هم الخزان البشري الذي يؤسس لنهضتها في المستقبل.

و أخيرا أقول: إن العدل أساس الملك، و إن وظيفة الحاكم أيا يكن، و وظيفة الحكومة مهما كان شكلها، العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية، و تحصين الأمن السياسي و الأمن الاقتصادي، لأننا جميعا مسؤولون أمام الله و الإنسان و التأريخ. و أختم بذكر قول الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه و سلم: "**كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته**".

---

[1]د.ت،د.ن،ص138.الدكتور محمد طي،"القانون الدستوري و المؤسسات السياسية"،

[2]الدكتور أحمد سعيفان،"قاموس المصطلحات السياسية و الدستورية والدولية"،بيروت،مكتبة لبنان ناشرون،2004،ط1،ص180.

الماوردي،"قوانين الوزارة و سياسة الملك"،تحقيق:رضوان السيد،بيروت،دار الطليعة،ط2،1993،ص20.

أبو الحسن علي بن محمد الماوردي(450-هـ)،"الأحكام السلطانية و الولايات الدينية"،بيروت،دار الكتب العلمية،ط1،1985،ص5.

[4]محمد بن منصور بن حبيش بن الحداد،"الجوهر النفيس في سياسة الرئيس"،تحقيق:رضوان السيد،بيروت،دار الطليعة،ط1،1983،ص61.

[5]ن.م،ص66.

[6]الماوردي،"الأحكام السلطانية"،م.س،ص5.

[7]نجدة خماش،"الإدارة في العصر الأموي"،دمشق،دار الفكر،ط1،1980،ص335.

[8]أبو عبيد القاسم بن سلام،"الأموال"،تحقيق:محمد خليل هراس،بيروت،دار الفكر،1988،ص234 و ما بعدها.

[9]الدكتور عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد،"المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني"،عمان،دار الضياء،1987،ص80.

[10]الحافظ ابن كثير،"البداية و النهاية"،بيروت،دار الريان،1988،ج12/ص609.و راجع:الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف،"العالم الإسلامي في العصر الأموي"،مصر،دار الاتحاد التعاوني،1996،ص158.

[11]الدكتور عمر حلبلب،"الاقتصاد السياسي"،بيروت،د.ن،د.م، ط5،2000،،ص64.

[12]علي الصلابي،"السيرة النبوية"،بيروت،دار المعرفة،2008،ص331.

[13]الدكتور عبد العزيز الدوري،"النظم الإسلامية"،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية،2008،ص142.



الشيخ د.علي أبو غنيم
كاتب لبناني

الهداية .. كيف تكون ؟

إن من أكثر الخواطر ترددا على أذهان المسلمين وهم يسمعون آيات القرآن الكريم، والمسلمون - جزاهم الله خيرا- يقاومون هذا الخاطر، ويحاولون ألا يظهروه، وأن يخفوه وأن يكبتوه في أنفسهم خوفا من أن يكون هذا الخاطر فيه شيء من عدم الإجلال والاحترام لمقام الله رب العالمين ..

إن هذا الخاطر يسأل عنه كثيرون، وهو أنهم وهم يقرؤون القرآن يمرون كثيرا بقول الله عزّ و جلّ: {يُضِلُّ مَن يشآء ويَهدِى مَن يشَآءُ} [النحل:93]، فالله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فتطرأ على الذهن شبهة، هذه الشبهة تقول: إذا كانت الهداية والإضلال مرتبطين بمشيئة الله عزّ و جلّ، فكيف يحاسبنا الله على أفعالنا ؟! نحن نعلم أن الله عدل، ولكن نريد أن نفهم، كيف يحاسبنا وهو يهدي من يشاء، ويضلّ من يشاء؟

وكما ذكرت أن المسلمين يقاومون، ويحاولون أن يخفوا هذا الخاطر حتى لا يقعوا فيما يناقض إجلال الله - عزّ و جلّ - لكن في الحقيقة هذا ليس منهج الإسلام، منهج الإسلام هو تجلية الحق، وإظهاره، و منهج الإسلام ليس أن تمنع نفسك من طرح مثل هذا السؤال، بالعكس منهج الإسلام أن تظهر ما عندك من سؤال؛ لأن الإسلام ليس عنده ما يخفيه، الإسلام دين قادر على أن يجيب عن كل سؤال بتمكن واقتدار وكفاءة تامة.

ولذلك سبحان الله ! نجد بعض المسلمين بدأوا يخرجون المسألة من الأزمة، وليجعلوها متفقة والعقل الحديث، فقالوا المقصود من الآية أن الله يضلّ بها من يشاء أن يضلّ، ويهدي من يشاء أن يهتدي، فجعلوا الضمير عائدا على الشخص نفسه.

وأنا أشكر هؤلاء لغيرتهم على الإسلام، ولكن أنا أريد أن أجعل المسألة مستحكمة ثقة مني في دين الله، وفيما يطرحه من آيات الهدى

البينة الرائعة، يقول الله تعالى: {مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: 39]، فالمشيئة راجعة إلى الله، ويقول: {مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّا مُرْشِدا} [الكهف: 17] .. لقد ذكروا أن الله هو الذي يقول: أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله، فيكون قد ذكر أن الله يضلهم .. فأنا أريد أن أقول لكم إن القرآن حتى حين يقول فمن يهديه من بعد الله، فمن يهدي من أضلّ الله، واضح وصريح في أن الله هو الذي يهدي وأن الله هو الذي يضلّ ..

إن هذا الدين لا يقوم به من يجهله أبدا، ولا يقوم به إلاّ من أحاطه من جميع جوانبه وفهمه .. ومن أشرق الإيمان في قلبه، وأشرق النور في عقله وذهنه وفي فهمه وإدراكه ..

يقول الله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43)} [العنكبوت] إذن نور الله -عزّ و جلّ- في هذا القرآن.

ولقد ظهرت هذه المسألة وهذا التساؤل الذي طُرح لدى بعضهم على أن المسألة مسألة مزاج، مزاج الله وحاشا لله أن يقول الإنسان على الله - عزّ و جلّ - ما لم يقله الله .. إذ يتصور بعضهم أن المسألة تتعلق بالحالة المزاجية، وطبعا الله ليس كمثله شيء، لكن حاشا لله ذلك، هذا ليس شأن الله أبدا .. بل شأن الله -عزّ و جلّ- أن كل شيء عنده بمقدار، {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرا} [الفرقان: 2]، {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)} [القمر]، {سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا (23)} [الفتح]، {وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحوِيلا} [الإسراء:77]، فهناك معيار محدد، ومقياس محدد .. لكن من أين نأتي بهذا المعيار والمقياس في قوله تعالى: (يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء)؟ لقد فهم بعضهم أن الإضلال والغواية مسألة بدون معيار، لكن في حقيقة الأمر عندما يقول الله - سبحانه وتعالى- إنه يضلّ من يشاء، فقد ذكر هذه الفئات المحددة التي شاء الله إضلالها، أو يشاء الله إضلالها، ذكرها تحديدا .. كما أنه ذكر الفئات التي يشاء الله هداها، ذكرها مثل القانون ..

القانون يقول: إلاّ الفئات كذا والفئات مذكورة في مواد أخرى، فكذلك كأن القرآن يقول: إن الله يهدي من يشاء ممن ذكرته لكم في آيات القرآن أن الله يشاء هداه، والله يضلّ من يشاء من الفئات التي يشاء الله إضلالها ممن ذكرها في القرآن ..

والسؤال من الذي يشاء الله إضلاله، ومن الذي يريد الله هدايته قد جاء في نص القرآن .. يقول الله تبارك وتعالى مثلا عن الذين يضلهم الله سبحانه وتعالى: {وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ} [إبراهيم: 27] {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} [البقرة: 26].

إذن هؤلاء قوم اتخذوا قرارا بالظلم أولًا، فدخلوا في فئة اسمها "الظالمون"، ولقد ذكر الله أنه يضلّ الظالمين، وهؤلاء اتخذوا قرارا مسبقا بالفسق، والله تعالى ذكر أن الفاسقين يضلهم الله، وذكر الله تعالى: {إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [غافر: 28] .. هؤلاء أسرفوا على أنفسهم في المعصية والكذب، {إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي

مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: 3]، فالآيات محددة والمسألة ليست مطلقة كأن يختار الله مثلًا فلانا ليهديه، وفلانا فلا يهديه، لا .. حاشا لله أن يكون الأمر بهذه الصورة، وإنما هو معيار منضبط.

{وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ} [يوسف: 52]، مع أن هذه الآية لها أيضا بعد آخر، {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ} [النحل: 104]، يعني هم اتخذوا قرارا بالكفر فأصبحوا خارج دائرة الهداية، اتخذوا قرارا بالظلم، فأخرجوا أنفسهم خارج دائرة الهداية، وهذا قرارهم المسبق، هم اتخذوه، وهم أسرفوا، وهم كفروا، وهم خانوا .. {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا (137)} [النساء] الآية ذكرها الله عن المنافقين، إذ إنهم يتلاعبون بالدين .. {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا (137)} [النساء] إذن هم فئة محددة، متلاعبة بالدين؛ لذلك فإن الله يضلّ من يشاء لأنهم استحقوا هذا الإضلال .. يقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقا (168)} [النساء] في الآية الأولى "ولا ليهديهم سبيلا"، وفي الثانية "ولا ليهديهم طريقا" .. إن الذين كفروا وظلموا وهذه الفئة جمعت بين الكفر والظلم .. إذن الله لا يهدي الكافرين, و الله لا يهدي الفاسقين, و الله لايهدي الظالمين، ولا يهدي المنافقين, ولا يهدي المتلاعبين، ولا يهدي من هو مسرف كذاب، ولا من هو كاذب كفار ..

إذن هي فئات ذكرها الله تبارك وتعالى، حتى عندما ذكر عن قوم {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} [المائدة: 42] .. وقوله: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} [المائدة: 41] ثم قال عن هذه الفئة: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ} [المائدة: 41].

لذا حينما تسمع قوله تعالى: "إن الله يضلّ من يشاء" إياك أن تعتقد أنها فئات مجهولة، أو مسألة متروكة للهوى .. وإنما هي سنن وقواعد وقوانين ومعايير أوحاها الله إلينا، وعرّفنا عليها, ولكننا نمر على آيات القرآن, ولا نقف عندها على الرغم من وضوح الرؤية في آيات القرآن بشأنها ..

أما الهداية .. سبحان الله ! فقد ذكرها الله تعالى أيضا تحديدا حتى نعلم أن الآية تحيل على آيات أخرى؛ لأن العبرة بمجمل آيات القرآن، مثلا يقول الله - سبحانه وتعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)} [الزمر] ..

إذن يهدي الله أصحاب صفات أولي الألباب، وفي سورة الرعد صفات لأولي الألباب، والسؤال: من هم أولو الألباب؟ ويمكننا معرفة ذلك من تتبع صفات أولي الألباب في القرآن الكريم ..

ويهدي الله المتقين، و مِن الذين يهديهم الله من اتخذوا قرارا بالإيمان والعمل الصالح، يقول الله عزّ و جلّ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة:277] يقول الله تعالى

عنهم والذين اهتدوا، هم آمنوا واتخذوا قرارا بالهدى، {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17)} [محمد] {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن: 11] لما جاءهم الهدى اهتدوا ..

إذن هؤلاء اتخذوا القرار، فالله لا يعبث، حاشاه ذلك، بل إن الله جعل لنا مشيئة، قال من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، فلا يعطل هذه المشيئة .. ولهذا قال تعالى: {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [آل عمران: 101] فهم اعتصموا بالله ..

ويقول الله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ} [القصص: 50] اتبع هواه بغير هدى من الله، فهو لا يسير على هدى من الله، وإنما هو يسير هكذا، يدخن السجائر ويصادق أهل الضلال والبعد عن منهج الله، والأمور لديه غير منضبطة تماما وأحيانا يصلي وأحيانا أخرى لا يصلي .. هو شخص يتبع هواه بغير هدى من الله .. يقول الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ} [النساء:66] فهذه خطوة يقوم بها المسلم، ويقول تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} [النساء:66]، {وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68)} [النساء].

إذن الهدى للذي يستمع للموعظة وينفذها، فيأتيه الهدى، ويتبعه، وهذا بخلاف الذي يأتيه الهدى ولا يتبعه .. فحينما يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69] .. جاهدوا أي تحركوا إلى الله -عزّ و جلّ- فاستحقوا الهداية ..

والسؤال: ما هي العملة .. عملة الهداية وعملة الغواية؟ العملة هي الخطوة السابقة، الله تعالى بعث إليك الهدى، فتقبله أو ترفضه، إن قبلته فقد حزت العملة التي بها تشتري الهدى، أنك قبلت وأقبلت، وإن رفضت الهدى، فإنك بذلك تكون قد فقدت العملة، وليس معك عملة لشراء الهدى. لذلك كما ذكرت من قبل، ذكر القرآن عن قوم أنه هداهم وهم كفار، وقال إن الله قد هداهم .. قال عن ثمود الذين عذبوا وماتوا كفارا: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت:17] ثم قال: {فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت: 17]، وعن فرعون {وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ} [النازعات 19] أي أنه هو الذي رفض الهدى، وقال عن آزر والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو عمه، {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43)} [مريم].

والهدى معناه الدلالة على الخير، بل إن الله -عَزَّ وَ جَلَّ- يذكر أن الكفار اتخذوا قرارا بألا يؤمنوا في، {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} [القصص: 57] .. ويقول تعالى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} [الأنعام:116] هذا وصف عن الكفار .. وقال: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} [النجم:23] ما هذا؟ أيذكر القرآن عن قوم أنهم قد جاءهم من ربهم الهدى وهم يتبعون

الظن وما تهوى الأنفس وهم كفار؟ والجواب نعم .. وذلك لإبطال حجتهم يوم القيامة.

ولذلك حينما تقرأ سورة الزمر تجد ردا على من يريد أن يتحجج وذلك حتى لا يأتي شخص يوم القيامة ويقول {لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [الزمر:57] حتى لا تزعم نفس هذا .. وهذا الكلام يقوله بعضهم، فيقول أحدهم: "لوكان الله هداني لكنت وكنت، لكن هذا أمر خاص بالله، يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، ويبدو أن الله لا يريد أن يهديني" وهذا كلام خاطئ، وللأسف بسبب مشاهدة الأفلام والمسلسلات والممثلين والممثلات والوقوع في المخالفات، صارت هذه هي ثقافة المسلمين اليوم، يقول الله -عزّ و جلّ- في هذا الأمر: {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57)} [الزمر] ثم يقول: {بَلَى} يعني بلى بل هديتك وأعطيتك الهدى، {بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59)} [الزمر:59].

ولذلك لا بد أن نعلم قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه في الحديث القدسي: "من تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة" ..

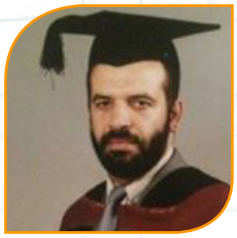
طبعا هذا تمثيل لمعنى اللفظ وليس لفعل الله، فلابد إذن من اتخاذ خطوة، وخطوة من الله -عزّ و جلّ- أنه أرسل رسوله بالهدى والدلالة على الخير ودين الحق ليظهره على الدين كله، فمن استجاب وآمن وأجاب واتبع فإن الله سيعطيه الهدى، ومن رفض وكفر وظلم وكان مسرفا ومرتابا وكذابا وظلوما وكفر ثم آمن ثم كفر ثم آمن ثم كفر وتلاعب ولم يؤمن بآيات الله و .. و .. فإن الله تعالى يضله.

كيف يضله الله؟

هذه نقطة هامة جدا، فالناس يتصورون أن الله له فعل إضلال، وإنما يقول الله تعالى: {وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأعراف:186] .. {فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (11)} [يونس] .. إذن الإضلال أن يُتركوا فيما اختاروه، بل لا يكتب الله تعالى عليهم الضلال بمعنى أن يجبرهم عليه وإلا فأين ذلك من قول الله سبحانه وتعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف:29]، فتقول له يا رب كيف أشاء أنا إن كنت تجبرني، فيقول لا، الضلال هنا هو مجرد أنك تُترك، ولذلك يقول الله تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرا وَإِمَّا كَفُورا (3)} [الإنسان:3].

إذن مسألة الإيمان والكفر و الهدى و الضلال ليست مسائل مطلقة بدون قواعد، وإنما تتم طبقا لقواعد محددة سلفا. و الحرية للإنسان في أن يختار عن علم، حيث يقول الله عزّ و جلّ: {يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} في [المجادلة:11] .. إن العلم هو الذي يكشف لنا ما الهداية و كيف تكون ؟ و هذا نتعرف عليه حين نتدارس آيات الله عَزَّ وَ جَلَّ ..





د. عماد الحاج أحمد
كاتب من لبنان

الإيمان بين التسليم الأعمى وَالضبط المقيت

يقوم الإيمان ابتداءً على التسليم المطلق: لكن التسليم لا ينبغي له أن يخالف المنطق و العقل. فالعقل يقارب الماديات المدركة؛ و المنطق يقارب الصوريات المعقولة و القوانين المرفقة. و يقوم الإسلام على الموازنة بين الضبط الشديد و السماح المتفلت.

فالضبط مدخل التقعيد للمعاملات بين الناس، و هو جسد الشريعة و عظمها. **و السماح قاعدة التعامل بين العبد و بين الله،** و هو روح العبادة و منظور الرحمة؛ لكن إذا خلت المعاملات من السماح، و حصرت على الضبط كانت جفافا قانونيا يعترف في التفاصيل و الإجرائيات، و أولدت جفاء في العلاقات الإنسانية.

و إذا خلت العبادات من الضبط و القواعد المرنة، أصبحت هي الأخرى ضربا من اللعب و العادة و التكرار الممل. و لقد بنى السادة الظاهرية مذهبهم على اعتبار ظاهر النص منتهى لحراك العقل، فأمعنوا في الضبط و التشريد، فجفت حركية الشريعة و قدرتها على الاستجابة للجديد. ثم أتبعوها على ظن التقوى بتقليد أعمى لسلف الأمة على اختلاف طرائقهم و بنسب صحتها و دقتها، فصار منظورهم يقارب العبث و يقر العجز و يجمد التطور.

و لقد بنى بعض السادة الصوفية مذهبهم على تقديم الرحمة الإلهية على كل نص، فقدموا السماح و افلتوا من الضبط، فانفلتت أفهامهم للشريعة عن كل إجرائية و نظام! و قاربت العبث! ثم إنهم أتبعوها بتقديسهم لمشايخهم على اختلاف أهوائهم و منازعهم! حتى وصل الحال إلى الانحراف و الضلال. و الشريعة مذهب للضبط في المعاملات و الإجرائيات المتبعة لتنفيذ النصوص، لكن من دون أن تصبح قيدا؟ و إنما العبادة مذهب للسماح و الصفح تحررها الرحمة الربانية من عقدة العجز و النقص و الإثم.

فمن أتى الشريعة على مرونة طرائقها و هو صادق التوجه لله في عمله، لم يحد عن ربقة الإيمان و كان عمله مقبولا. و من أتى العبادة على صدق التوجه لله تعالى و على إحدى

الهيئات التي تتحملها النصوص كانت عبادته مقبولة، و ليس تعدد الأشكال و الاجرائيات و النمطية قيودا للإنسان، بل معالم له على الطريق، فمن سلمت له وجهته في الفهم و حرصه في الأداء، فلا ضير إن تعرجت به المسالك، طالما حرص على التماس الهدى و النور عند كل مفترق يعرض له في الحياة.

و لا بد من القول بأن الصيغة النصية التلقينية دليل على طفولة في العقل لا ترى فيه رشدا و لا أهلية على حمل أمانة الفهم و الاستنباط و التطوير. كما أن وجوب طاعة الأمر فيها مرهون بطفولة مستقبلها و تخلفه عند حد لا يسمح في إطلاق آليات تطور النص وفهمه عند كل مستجد. والصيغة الفقهية الراشدة إنما هي صيغة عقلية مرهونة بالعلّية و الأسباب و النظام و الآليات. فهي بالتالي مقرونة برشاد العقل و بمقدرته على تشرب العلم و القدرة على إسقاطه على القديم و الجديد.

لفتة إلى المنطق و العقل و العلم:

يقوم المنطق الصوري (الرياضي) على اتساق السبب و النتيجة من ذلك (مسار- أ) يرفض العقل العلمي كل نتيجة غير مقترنة بسبب ملازم لد (مسار- ب). و المسار-أ يثبت توازن العالم و يجعل منظوره العلمي مؤكدا. و المسار- ب إن تعطل يغمض فهم العالم و يجعل فهمه احتماليا. و الفهم لا يؤخذ بغير المنطق، و العلم لا يؤخذ بالاحتمال.

ما يثبت العلم:

- الإحاطة بالإحداثيات و التفاصيل، و الإجرائيات و مواقع العوار.
- الإحاطة بالقوانين الضابطة للحدث.
- الإحاطة بالاحتمالات الناجمة عن نقص في المعطيات، أو دخول عامل خارجي.

ما لا يوضح العلم:

- غياب التصورات عن العالم اللامرئي.
- صعوبة تقنين القوانين اللامدركة، لقلة المعلومات عنها، و لصعوبة الحصول عليها كذلك.
- اعتبار كل احتمال كمونا، و الاحتمال هو منظومة صورية منطقية غير متلازمة مع أسباب حصول الحدث القائم.

و الكمون هو منظومة صورية منطقية متلازمة آليا مع أسباب حصول الحدث القائم. و العقل العلمي المنطقي يثبت المؤكد القائم على السبب و النتيجة و لا ينفي الاحتمال، الذي قد يصبح حقيقة إذا تحققت شروطه، بينما خروج العقل عن العلمية يعطل المنطق الرياضي و يؤكد الاحتمال،

و لا بد من التوضيح أن المنطق الصوري (الرياضي) يسير على وفق المسارات الطبيعية (السببية/الكمونية) أو الاجتماعية على حد سواء. و في العموم يستهل العالم و العاقل المسارات الطبيعية لسهولة الطريق و وضوح الرؤية و المعالم؛ بينما يسير العالم المنطقي في وحدة المسارات الاحتمالية، نظرا لوعورة الطريق و قلة المعالم و المعلومات.

و يبقى الإمكان القابل للتحقق أقرب للكمون المبني على معطيات الواقع، لأنه يحتوي بالتأكيد عناصر مكتملة و حاضرة، بينما يظل الاحتمال

أقرب للتصورات الوهمية نظرا لقلة معطياته و معقولاته الحاضرة و غياب عناصره و مؤكداته.

النصوص المقدسة بين الوعظ و الإحكام:

النصوص المقدسة ليست سوى معالم مرمزة على امتداد المسارات المنطقية (الواقعية أو الصورية) للقوانين السببية و الاجرائية للأحداث، و هي بذلك حماية للعقول من الضرب في الاحتمال الممتنع. و الأخذ بها على ظاهرها ظلم لها ابتداء و حجر على رمزيتها، التي تترك للعقل العلمي إمكانيات لا حصر لها في الإضافة و الاستطراد إنطلاقا من كل جديد.

و هكذا ففهم النصوص المقدسة يحتاج إلى منهجية مدرسية تؤطر المسار و تربطه بالغاية و تبعده عن احتمال الخلل. و بغير المنهجية المدرسية المتكاملة يتحول النص إلى جزر منفصلة لا يجمع بينها إلاّ الظن و الاحتمال المذهبي؟!

و هنا يتدخل القصص الحاضر في النصوص و الأحاديث النبوية لوضع محطات عملية بين حدود الفهم و السماح في النص الواحد كما تضع أخلاقية للأحكام تبعدها عن الجمود و العبثية و تحمي الفقيه من الزلل و التشرد على حد سواء.

و الوعظ قرين البساطة لأنه موجه لعموم الجمهور، و البساطة طبعها التوهم و التفلت من الضبط العلمي، أما العلم فقرينه التفصيل و دقة المعلومة، و التفصيل و المعلومة باب ثابت للتقدير و الضبط و الحكم و التقدير. و من السهل الدخول إلى العامة بالوعظ و الترهيب لنقص في علمهم الفقهي، و عدم درايتهم بالمقاصد و الحدود. لكن الخطورة تكمن في تحويل الوعظ غير القائم على منهجية مدرسية إلى عقيدة أو شريعة أو قانون و أحكام.

و من الصعب كذلك الدخول إلى الخاصة و أهل العلم إلا بالعلم و المنطق و المعلومة (بمنهج محدد)، لكن الخطورة تكمن في تحويل كل علم و معلومة إلى عقيدة أو جزء من عقيدة. فالعلم احتمال في مجمله و إكمال مناط الاحتمال هو اجتهاد و فن لا يدركه إلا الراسخون في علم الاختصاص.أما العقيدة فدين و الدين عين المقدس و مساءلة الاحتمال أمر مقبول و مشروع و مطلوب، أما مساءلة المقدس فهي بكل بساطة مدخل إلى الحرب!، أحيانا بحق و غالبا بغير حق و فيما لا طائل من ورائه!!.







د. شوقي علام
مفتي الديار المصرية

مفهوم السنّة وَالبدعة

أتمَّ الله تعالى نعمته على الناس كافة ببعثة خير الرسل وصفوة الأنبياء صلى الله عليه وسلم فكَمُل به الدين الحنيف والرسالة السمحة لتصل إلى العالمين بصورة نقية. ولا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرشدنا إلى الإتباع وبيَّن لنا سبيل ذلك، فأمرنا بالتمسك بالقرآن وما جاء به، فقال: «قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله» (صحيح مسلم)، ويُجمَع مع ذلك ما يروى عنه صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، فقد شرح صلى الله عليه وسلم لأمته ما انطوى على القرآن الكريم من أحكام شرعيَّة، ومن ثَمَّ كانت السنة مبينة للكتاب وكاشفة له لا مبطلة له أو معطلة لأحكامه.

لقد اتخذ المسلمون السنة النبوية عبر عصورهم مصدرا للتشريع بعد القرآن الحكيم، مع معرفة دقيقة بما فيها على سبيل القطع، وبما فيها على سبيل الظن، وتمييز حكيم بين ما جاء منها على جهة الوجوب، وما كان على سبيل الندب، وما هو من مكارم الأخلاق، أو ما كان مَبْنيّا على العرف والعادة والآداب العامة والذوق الإنساني.

هذه سمات جامعة للميزان الدقيق ومعالم واضحة لطريق الصحابة ومن بعدهم علماء الأمة في تحديد معاني السنة وضوابطها ومعاني البدعة وشروطها؛ فالسنة هي الطريقة والمنهاج، والبدعة هي المحدثات والمخترعات على غير مثال سابق، سواء في الأمور الدينية أو في الشئون الحياتية، والسنة والبدعة كأمرين متقابلين في الأدلة الشرعيَّة، حثًّا على إتباع الأول، و نفّرا من مقاربة مظاهر الثاني، حيث ذكر عنه صلى الله عليه وسلم: «من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» (سنن أبي داود).

والحقيقة أن هذه المقررات المنقولة والمتبعة في بيان مواضع التأسي والاقتداء في كل ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول

أو فعل أو تقرير لدى جمهور الأمة سلفا وخلفا تكشف عن صفات أصحاب الفكر المتشدد، لأننا نجد أنهم يوسعون مفهوم البدعة حتى شمل كل ما هو جديد لم يكن معهودا من المسائل في الزمن الأول لمجرد ذلك، فعاشوا عصرا غير عصرهم، وحكموا على علماء الأمة و عامتها بالضلالة والزيغ، بدون التفات إلى المناهج المقررة في طرق الاستنباط من الأدلة، زيادة على أنهم قد فقدوا التحلي بالتجرد والتحرر من الهوى والمشرب.

كما أنهم اختزلوا هذا المفهوم في الفهم والتطبيق، بداية من استقطاب الأتباع تحت شعارات «إتباع السنة» و«كتاب وسنة بفهم سلف الأمة» من دون مراعاة لحقائقها، ومرورا بالتخلص من الخصوم بالاغتيال المعنوي والتصنيف بأن هذا «صاحب بدعة»، وذاك «صاحب انحراف»، وانتهاء باعتقاد أن اختيارهم يُعبر دائما عن الحق والصواب، وكل ذلك من المنكر الذي يقطع به الإسلام وأهله.

وبذلك اتخذوا طريقا موازيّا لمقياس دقيق حرره العلماء الإثبات في قبول هذه الأمور سواء أكانت في العقائد أم العبادات أم المعاملات أم الأمور الحياتية، حيث اشتراط الموافقة والاعتبار لهذه البدعة لأصول الدين وكلياته وعدم صدام القواطع، بعرضها على قواعد الشريعة، وردها إلى مثيلاتها في الكتاب والسنة على وفق طرق الاستنباط المعروفة من أجل إصدار حكم شرعي مناسب لواقعها ومقصدها، فهي إما أن تكون واجبة أو محرمة أو مندوبة أو مكروهة أو مباحة، استنادا إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «من سنّ في الإسلام سُنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سُنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء» (صحيح مسلم/ 1017)







د. رضوان السيد
كاتب وأكاديمي وسياسي لبناني

مقاصد الشريعة وَالأعمال الخيرية

تكثر دائماً في رمضان الدعواتُ لعمل الخير، وصار الدعاة والخطباء يوردون إضافةً لنصوص الكتاب والسنة، مبادئ عامة في طليعتها: مقاصد الشريعة لحثّ المحسنين على البذل للمؤسسات الخيرية. و ببيروت و بصيدا في لبنان جمعيتان للمقاصد الخيرية الإسلامية– وهما جمعيتان "خيريتان" أُنشئتا في القرن التاسع عشر لتشجيع التعليم الجديد، وتملكان عدة مدارس مجانية.

و أُطروحة المقاصد هي أطروحةٌ فقهيةٌ قديمةٌ قادها فقهاء المالكية، من دون أن تغيب عن سائر المذاهب، وكان ذلك بعد أن نضجت البحوث في الفقه الإسلامي وأصوله، فوصل الحديث إلى الأهداف والغايات، بقصد إنتاج نظرية عامة أو فلسفة للتشريع، بعد أن كان الحديث في القرون الأولى عن "العِلَل" التي تقف وراء إنتاج الأحكام في الحالات الجزئية. وعلى أي حال، ومنذ القرن الخامس الهجري /الثامن عشر الميلادي تردد في كتب أصول الفقه الحديثُ عن أنه من مقاصد الشريعة صون النفس والعِرض والمال. وأُضيف إلى هذه الأصول الثلاثة فيما بعد أصلا العقل والدين. وقد اشتهر في شرح هذه الأطروحة المتقدمة الفقيه المالكي أبو إسحاق الشّاطبي، من القرن الخامس عشر الميلادي، في كتابه: الموافقات في أصول الشريعة.

وحتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ظهرت مسألة المقاصد أو المصالح، و كأنها موضوع فقهي أصولي بحت. لكنّ خير الدين التونسي الوزير الأول في تونس استخدمها في مقدمة كتابه:" أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" والصادر عام 1867 م بمعاني جديدة: معاني التجديد الفكري والنهوض المؤسَّسي في التعليم العام والصحة، وإنشاء الوزارات والوكالات المختصة، والشركات في الصناعة والتجارة. وحجته في ذلك أنّ الأوروبيين فعلوا ذلك فتقدموا، وأنّ المصالح المستجدة في

الزمان والمكان تقتضي ذلك لدى المسلمين. فالعيش ركنان: ركن دنيوي، وركن ديني، وإذا اختلّ الركن الدنيوي (كما هو حاصل) فيوشك الركن الديني أن يختلّ، ولذا يكون من مصلحة علماء الدين الاستجابة لنداء النهوض والتقدم وصون المصالح العامة أو تطويرها حفظا للدين من الاختلال، وللشريعة من الزوال! فإذا كان الوقف على المستشفيات وعلى المدارس قديما من أعمال الخير؛ فإنه صار الآن ضرورةً وجوديةً دونها الهلاك.

لكن فكرة خير الدين لم تنتشر ربما لأن كتابه لم ينتشر أو لأنه ليس فقيها. و في العام 1884م طبعت مطبعة الدولة بتونس كتاب الموافقات للمرة الأولى. وقد رآه محمد عبده المصري النابغة، فحمله معه ودار به فيما بين بيروت وباريس ودمشق والجزائر ومصر، وتحدث عن نظرية المقاصد باعتبارها ثلاثة أمور: نظرية في طبيعة الدين الإسلامي(الخير والرحمة والمصلحة)، ونظرية في جريان الأحكام على المصالح، والمصالح متغيرة، لذا تتغير الأحكام بتغير الزمان. والأمر الثالث، بمثابة الثمرة للمقدمتين سالفتي الذكر و هو أنّ النهوض وصنع التقدم واجبٌ شرعيٌّ أو تكليفٌ لا يُعفى قادرٌ منه، وبخاصةٍ رجالاتُ الدولة، وعلماء الدين. وما أن أتت تسعينات القرن التاسع عشر حتى كانت عشرات المؤسسات تحت اسم المقاصد قد ظهرت في كل مكان، وفي ذلك تأكيد على الإرادة النهضوية والتجديدية، وعلى اعتبار رؤية الخير العام أساسا في الدين الإسلامي.

و قد كثر التأليف في المقاصد بعد وفاة الإمام محمد عبده عام 1905م . وجرى اكتشاف عدة نصوص قديمة في المصالح والمقاصد. ومرت البحوث في ذلك بثلاث مستويات : مستوى القراءة التسجيلية والمدرسية، بإعتبار"علم المقاصد" جزءا من علم أصول الفقه، أو ليس كذلك. والمستوى الثاني الإحيائي الإشكالي فيما بين الطاهر بن عاشور في الأربعينات و علاّل الفاسي في مطلع السبعينات. وقد قلتُ إنها إشكالية على الرغم من جدّتها لأنه كان هناك مَنْ قال إنّ تعظيم المصالح المقصود به الخروج على نصوص الشرع، بينما يقول ابن قيم الجوزية: حيثما تكون المصلحة فثَمَّ شرعُ الله!

وفي المستوى الثالث انطلقت نهضةٌ إبداعيةٌ في قضايا ومسائل المصالح استمرت حتى اليوم. وقد صارت مهمتها الرئيسة: مصارعة التشدد والانغلاق والخروج منه باتجاه التوسط والاعتدال والخير العام للبشرية جمعاء. و المستشرق شاخت تحدث عن التقليد الحي في الفقه. و المستشرق هوبسباوم تحدث عن اختراع التقليد مع ما في ذلك من تناقض. و المهم أنّ"التقليد" أو العُرف صار عندنا وفيما بين الشام والمغرب: أن المقاصد أمران:عمل الخير، والدعوة لإنشاء مؤسسات النهوض والتقدم.

و منذ مدة أعلنت مؤسسة جائزة الملك فيصل الشهيرة أن موضوع الجائزة هذا العام هو مقاصد الشريعة: {أما الزبد فيذهب جُفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}.





نضال خالد
ناشط اجتماعي من لبنان

الوقاية من التطرف و العنف ضرورة للمجتمع

يتصدر التطرف نشرات الأخبار وعناوين الصحف الدولية والمحلية، ويكاد يكون العنوان الوحيد والمشترك لها مع توأمه "العنف" الذي يمكن وصفه أيضا بأنه قد صار عابرا للحدود والقوميات والأديان. و هناك آلاف الدراسات والأبحاث والمقالات والبرامج عن ظاهرة التطرف والعنف نشرت وصدرت وبعضها تعمقت في البحث عن هذه الظاهرة، و على الرغم من ذلك بقيت الظاهرة مبهمة، لأن الأبحاث لم تعط أجوبة شافية، وبعضها وقعت أو"أوقعتنا" في أفخاخ استنتاجات أسهمت في صنع كم كبير من الأسئلة من ذلك، هل نحن فعلاً في صراع حضارات واديان، أم أننا أصبحنا أسرى صراع الدول الكبرى وطموحاتها للهيمنة على مصائر الشعوب والسيطرة على خيراتها ؟

و كما يرى بعض الباحثين في القضايا الجيو- سياسية والجيو- استراتيجية والفلسفة الدينية - الاجتماعية، فإن مكامن الخلل، قد نجدها في غياب الخطاب الديني المتنور، الذي يسهم في صنع حضارة إنسانية، وينبذ العنف والتطرف، ويظهر رقي الأديان السماوية وجماليتها في بناء الإنسان وتشذيب أفكاره.

ولكن يبقى السؤال المشروع : لماذا يتقبل الناس الخطاب المتطرف، ولماذا يجد له تربة خصبة؟ وهل خطاب "التطرف العنفي" يعبر فعليا عن رأي عام، أم أن الشعور بـ"المظلومية" الإجتماعية والسياسية هما السبب الحقيقي الذي بوساطتهما يتسلل إلينا الخطاب المتطرف؟ أم أن لعامل المال المستغل فقر المهمشين في المجتمعات، دوره المؤثر والفعال في إفساد عقول الشباب وجرهم نحو " سياسات عنفية" تخدم "مخططات دول ومصالح أمم"؟ الأسئلة كثيرة ولا يمكن الإجابة عنها في عجالة و نحن في وقت يسيطر فيه العنف على لغة العقل.

بعدما أصبح التطرف مشكلة عامة، ويكاد يدفع بكثير من الأفراد نحو "الأصولية الراديكالية"، "وهذا محور السؤال لماذا تتجه الجماعات نحو التطرف، وما هي عوامل الجذب والدفع ؟ و على سبيل المثال لا الحصر **نستعرض بعض العوامل :**

- تفلت الفتوى الدينية من ضوابطها.

- اعتماد تفسيرات خاطئة للنص الديني، على وفق توجهات "المفسر" السياسية وتمنياته.
- تفلت شبكات التواصل الاجتماعي وضخ المعلومات لا الهادفة بل الخاطئة و المشبوهة.
- غياب حكم القانون وانتشار السلاح المتفلت، وتمتع أصحابه بالحصانة الأمنية، في ظل ترهل مؤسسات الدولة.
- تفشي ظاهرة الفساد السياسي والمالي والديني والأخلاقي.

وفي ظل هذا الواقع نجد أنفسنا مضطرين إلى القول بأن غياب حكم القانون، وانتشار السلاح المتفلت وبوجود الحصانة الأمنية لحملة هذا السلاح، أصبحت هذه العوامل أسبابا واضحة لإنطلاق و شيوع الخطاب المتطرف، فالسلاح خارج الدولة وفي يد الأحزاب أعطى المشروعية والحجة لهذه الجماعات لتتسلل، وبناء هيكلها السياسي- الديني، كما أن غياب تطبيق القانون و صدور الأحكام القضائية متأثرة بالضغوط التي يتعرض لها القضاء بعيدا عن الأسلوب القانوني العادل و الصحيح، جعل الكثير من الشباب ناقمين وفي حال من الفوضى بشأن قضايا الدولة والعدالة والمواطنة.

و نحن نأمل أن تتميز الأحكام القضائية من العدالة آخذة بعين الإعتبار كل العوامل المؤثرة بانحراف الشباب، وأن تكون هذه الأحكام مرتبطة برغبة الأشخاص بالتغيير عبر المؤسسات الدينية والاجتماعية كمؤسسات إرشاد اجتماعي وديني، ومحاولة إعادة دمج المغرر بهم في المجتمع ثانية.

وللأسف فإن الساحة الدينية تعاني اليوم من غياب الخطاب الجامع والرؤية الواضحة لنبذ التطرف والدعوة إلى الاعتدال والوسطية، وهذا ما يتطلب إعادة الدور لمؤسسات دار الفتوى كمرجع وحيد، يتولى ضبط تفلت الفتاوى التي تجعل الكثير من الشباب يعتمد على تفسيرات خاطئة للدين، فيتجهون نحو العنف وتكفير الآخرين.

هذا و قد لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في تفلت الفتاوى الدينية، وهذا ما غرر بالكثير من الشباب، الأمر الذي يحمل الدولة مسؤولية إيجاد الوسائل والتشريعات الضرورية لحماية الشباب من هذا الخرق الخطير والمهدد للسلم الاجتماعي.

ففي ظل الصراعات السياسية في لبنان وغياب السلطة القوية العادلة التي من مهامها الأساسية فرض الأمن الاجتماعي والعدالة، يبرز عمل البلديات والمجتمع المدني والمحلي في صنع جدار الوقاية من التطرف العنيف، ومن هنا كانت "شبكة الوقاية المجتمعية" في مجدل عنجر نتاج عمل بناء وجاد بين السلطة المحلية والمجتمع المدني، وقد تكللت هذه الجهود منذ سنة ونيف بثمرة عمل دؤوب لفريق قدم العديد من الورش التدريبية لأعضاء الشبكة المؤلفة من أعضاء مجلس بلدي، ورجال دين، وتربويين، ورجال أعمال، وناشطين في المجتمع المدني من أصحاب الإختصاص في مجالات متنوعة. ووضعوا تصورا لدعم وتنسيق شبكة محلية عابرة للتخصصات المهنية عاملة مع فئات الشباب ومن أهم واجباتها :



1. تحديد السلوكيات الاجتماعية الخطرة ضمن المجتمع المحلي والمساعدة على حلها ومنها ظاهرة المخدرات والتسرب المدرسي والبطالة.

2. رفع مستوى الوعي لدى الشباب.

3. تبادل المعرفة عن النشاطات التي تساعد على حماية الأهالي.

و هكذا ربما يساعد كل هذا على تحصين المجتمع والوقاية المبكرة بوساطة مثل هذه النشاطات التي تهدف إلى وقاية و حصانة المجتمع، لذا تقرر القيام بنشاطات مفيدة للشباب كالبرامج: الرياضية والثقافية والتربوية والكشفية وجلسات حوار وإرشاد ديني يقوم بها رجال الدين وأصحاب الإختصاص.

وميزة هذه المجاميع الوعظية الواعية أن أعضاءها يعرفون مجتمعهم خير معرفة، وان شعورهم بالانتماء يوجب عليهم العمل من اجل حماية أبناء مجتمعهم و الحفاظ عليهم، و إبعادهم عن شرور التطرف و العنف.
وفي الخلاصة، يمكن القول : أن ما نقوم به ربما يقدم أجوبة نافعة عن الأسئلة المطروحة بقوة في مجتمعنا، علما أن ما نقوم به، هو عمل متواضع للإجابة قدرالإمكان على هواجس تقض مضاجع الكثير من الشباب . وخدمة واجبة علينا كأفراد واعين و راغبين في مساعدة أخوتنا و تجنيبهم مخاطر التطرف و العنف.

نضال خالد
رئيس جمعية مبادرات شبابية
مقال من ضمن مقالات تصدر عن شبكة الوقاية المجتمعية مجدل عنجر





عبد الحق خروب
ناشط اجتماعي من لبنان

دور الخطيب والمسجد في الوقاية من التطرف

لقد اختار الله لهذه الأمة منهجها وبيّن طريقها ، صراط مستقيم لا عوج فيه ، و أمة وسط واعتدال في التصور والإعتقاد ، و في العبادة والأخلاق والسلوك، فأمة الإسلام أمة الإعتدال والوسط والصراط المستقيم ، بمعنى أنها تستغل جميع طاقاتها وجهودها في البناء والعمران المادي والتربوي والعلمي والثقافي من غير افراط ولا تفريط، فهي بذلك تحقق التوازن بين الفرد والجماعة وبين الدين والدنيا، و بين العقل والقوة، و بين الروحانية والمادية .

وعليه فإن الدين الإسلامي قد وفّر كرامة أتباعه وصان حقوقهم وضروراتهم وأرشد إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، كما تميّز من الصلاحية لكل زمان ومكان، ولمعالجة شؤون البشرية كلها، لأنه يمتلك منهجا سويا، لكن ضياع التفكير السوي من بعض المسلمين وبعض المندسين في صفوف الإسلام شوهت الحقيقة الكاملة لهذا الدين الحنيف، ولقد كانت رسالة الإسلام السمحة تنطلق من المسجد الذي منه نشر الرسول الكريم رسالة الإسلام إلى العالم، فكان للمسجد الدورالكبير والهام في تثبيت العقيدة في نفوس المسلمين، وفي فهم الرسالة الخالدة فهما صحيحا، و في زمننا الحالي، و بعد ما تعرض له الإسلام و المسلمين، و ما نسب إليهم نتيجة ممارسات بإسم الإسلام من جماعات معينة، نرى من الواجب تجديد خطاب المساجد على اسس التصدي للتطرف، الذي يعد ظاهرة معقدة تتداخل فيها مجموعة من العناصر الثقافية و الفكرية و الإجتماعية و المعرفية ، إذ أن العودة إلى خطاب البدايات الأولى لمساجد الإسلام تعتبر في غاية الأهمية لفهم دور المسجد في إشاعة مفاهيم الإسلام الصحيحة القائمة على الوسطية و الإعتدال التي تميز الحضارة الإسلامية من غيرها.

فمن المعروف أنه قبل نزول الإسلام و قبل بناء المساجد، كانت القبائل في حالة من التطاحن و الإنشقاق و غيرها من المظاهر السلبية، الأمر الذي أدى إلى العجز و فقدان

الفاعلية. أما في العهد النبوي، فقد أصبح المسجد مكان العبادة الجماعية، و المكان الذي يلقى فيه الخطاب الداعي إلى الوحدة و التآخي و نبذ الشقاق و التسامح و العفو عند المقدرة. و اليوم نجد من الضروري العودة إلى هذه الأصول الصحيحة ، بأن يلتزم الإمام خطيب الجامع تلك القيم الإسلامية في مواجهة التحديات الحالية، وخاصة عند التعامل مع فئة الشباب و كيفية التواصل معهم.

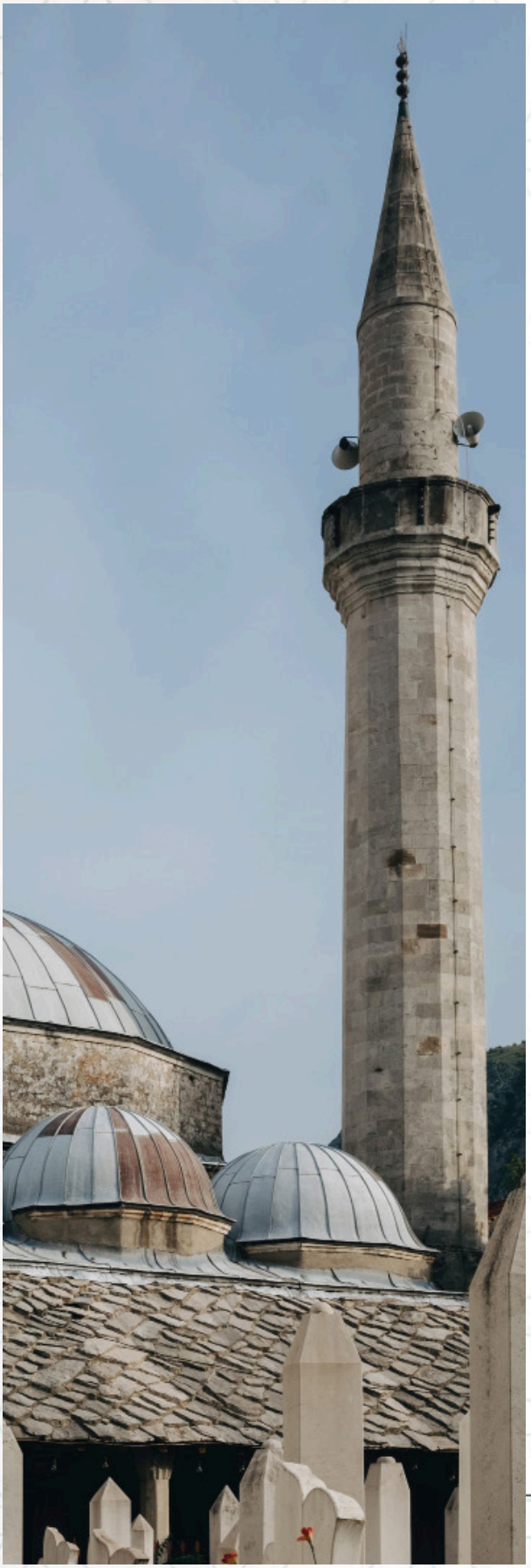
و في محاولة تثقيفهم بتلك القيم التي تربى عليها الصحابة الكرام ، و الذين وصفهم القرآن بقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله).

لذا نرى أنه ينبغي على الإمام الخطيب و الواعظ في المساجد أن ينتبه على هذه الأمور و يضعها في سلم أولوياته، حتى يعود للمسجد ذلك الدور الكبير الذي كان و الذي يجب أن يكون في الإرشاد عموما و توجيه الشباب خصوصا إلى الطريق الصحيح و عدم الإنجرار وراء كل شاردة و واردة تأتي من هنا و هناك، و في الوقت نفسه ينبغي لهذا الأرشاد و التوجيه أن يكون كل منهما دافعا للأمام و الخطيب إلى بناء الثقة بينه و بين الشباب و وسيلة إلى بيان ضرر أي خطاب متطرف، و تسليط الضوء على مخاطره على المجتمع بصفة عامة ، و على الشباب بصفة خاصة، و لتحقيق هذه الأهداف و غيرها ، ينبغي على الخطيب و الواعظ أن يأخذ كل منهما بعين الإعتبار العوامل التالية :

أوّلا: يجب بذل الجهد للتمكن من العلوم الشرعية، و محاولة متابعة الجديد كي يكون الإمام ملما بما يستجد في مجتمعه و في العالم الخارجي جهد الإمكان ، بقصد بلورة وسائل عمل فعالة، متطورة وناجعة في مجالات أساسية داعمة للعلم الشرعي، وهي المعرفة بالتأريخ و محاولة الإتعاظ و العبرة بالماضي خدمة للحاضر و المستقبل أيضا، و على الخطيب الإطلاع على مناهج علم الاجتماع، لأن المجتمع هو المجال الذي يمارس الخطيب وعظه فيه، وأخيرا لابد للخطيب من إتقان اللغة العربية. لأنها ضرورة و أساس مهم في فهم النصوص سواء بالنسبة للآيات القرآنية أو كتب التفسير أو السنة النبوية.

ثانيا: ضرورة معرفة الإمام الخطيب كيفية التعامل و توجيه فئات المجتمع و في المقدمة فئة الشباب، و كيفية التواصل بعالمهم مع التأكيد على التركيز في خطاب مسجدي ناجع يهتم بالجميع عامة و الشباب خاصة، و يجعل المستمع يحس و يعرف أن هناك من يشاركه همومه و يحاول أن يساعده على حل ما يعترضه من مشاكل.

ثالثا: إتباع وسائل للتواصل الإجتماعي بعيدة عن القسر و الإكراه للمخاطب بها، و مراعاة المستويات الثقافية لرواد المسجد بمخاطبتهم بخطاب مرن يستجيب له الحاضرون و يلقى قبولهم للعمل بموجبه، كذلك من الضرورة بمكان أن يكون الإمام متمكنا من



وسائل الإتصالات الحديثة سواء الألكترونية أو غيرها، لأنها أصبحت وسيلة يعتمدها أفراد المجتمع عموما و الشباب خصوصا.

رابعا: تجديد مفاهيم أفراد المجتمع، و زيادة معلوماتهم و اطلاعهم على المستجدات و الموقف الصحيح للإسلام منها، لبناء واقع مغاير أكثر رقيّا وإبراز الحيوية في البعد الديني الإيماني، و القدرة على إستيعاب الجديد النافع و الإستفادة منه و التعايش معه، لخدمة المجتمع عامة، و رواد الجامع خاصة .

خامسا: ضرورة إيجاد رؤية موحدة للقائمين على الشأن الديني بوساطة دليل موحد يراجع أو ينقح بين الحين و الآخر، لذلك من الضروري العمل على إنشاء مركز تخصصي في دار الفتوى للمساهمة في تثقيف ائمة الجوامع و الخطباء، و جعله مكان لقاء و تشاور للجميع، لخلق رؤية موحدة مطلوبة في سبيل الوقاية من التطرف و مظاهر العنف، التي قد تظهر هنا أو هناك لدى بعض المجموعات الشبابية أو غيرها، و ذلك من أجل الحفاظ على رواد الجوامع خاصة و المواطنين عامة.





الشيخ علي الطنطاوي

مقالات لا تنسى | السعادة

يحمل الرجلان المتكافئان في القوة الحِمْل الواحد، فيشكو هذا ويتذمر؛ فكأنَّه حمل حملين، ويضحك هذا ويغنِّي؛ فكأنَّه ما حمل شيئا. ويمرض الرجلان المتعادلان في الجسم المرض الواحد، فيتشاءم هذا، ويخاف، ويتصور الموت، فيكون مع المرض على نفسه؛ فلا ينجو منه، ويصبر هذا ويتفاءل ويتخيل الصحة؛ فتسرع إليه، ويسرع إليها. ويُحكم على الرجلين بالموت؛ فيجزع هذا، ويفزع؛ فيموت ألف مرة من قبل الممات، ويملك ذلك أمره ويحكِّم فكره؛ فإذا لم تُنجه من الموت حيلته لم يقتله قبل الموت وَهْمُه.

وهذا "بسمارك" رجل الدم والحديد، وعبقري الحرب والسِّلْم، لم يكن يصبر على التدخين دقيقة واحدة، وكان لا يفتأ يوقد الدخينة من الدخينة نهاره كله فإذا افتقدها إختلَّ فكرُه، وساء تدبيره. وكان يوما في حربٍ، فنظر فلم يجد معه إلا دخينةً واحدة، لم يصل إلى غيرها، فأخَّرها إلى اللحظة التي يشتدُّ عليه فيها الضيق ويعظم الهمّ، وبقي أسبوعا كاملا من غير دخان، صابرا عنه أملا بهذه الدخينة، فلمَّا رأى ذلك ترك التدخين، وانصرف عنه؛ لأنه أبى أن تكون سعادته مرهونة بلفافة تبْغٍ واحدة.

وهذا العلاّمة المؤرخ "الشيخ الخضري" أصيب في أواخر عمره بِتَوَهُّم أن في أمعائه ثعبانا، فراجع الأطباء، وسأل الحكماء؛ فكانوا يُدارون الضحك حياءً منه، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدّود، ولكن لا تقطنها الثعابين، فلا يصدق. حتى وصل إلى طبيبٍ حاذق بالطب، بصير بالنفسيات، قد سَمِع بقصته، فسقاه مُسَهِّلاً وأدخله المستراح، وكان وضع له ثعبانا فلمّا رآه أشرق وجهه، ونشط جسمه، وأحسَّ بالعافية، ونزل يقفز قفزا، وكان قد صعد متحاملاً على نفسه يلهث إعياءً، ويئِنُّ ويتوجَّع، ولم يمرض بعد ذلك أبدا. ما شفِي الشيخ لأنَّ ثعبانا كان في بطنه ونَزَل، بل لأن ثعبانا كان في رأسه وطار؛ لأنه أيقظ قوى نفسه التي كانت نائمةً، وإن في النفس الإنسانية لَقُوًى إذا عرفتم كيف تفيدون منها صنعت لكم العجائب. تنام هذه القوى، فيوقظها الخوف أو الفرح؛

ألَمْ يتفق لواحد منكم أن أصبح مريضا، خامل الجسد، واهِيَ العزم لا يستطيع أن ينقلب من جنب إلى جنب، فرأى حيَّة تُقبل عليه، ولم يجد مَنْ يدفعها عنه، فوثب من الفراش وثبا، كأنَّه لم يكن المريض الواهن الجسم؟ أو رجع إلى داره العصر وهو ساغبٌ لاغبٌ، قد هَدَّه الجوع والتعب، لا يبتغي إلا كُرْسِيّا يطرح نفسه عليه، فوجد بَرْقِيةً من حبيب له أنه قادمٌ السّاعة من سفره، أو كتابا مستعجلاً من الوزير يدعوه إليه ليرقيَ درجته، فأحسَّ الخِفّة والشبع، وعدا عدْوا إلى المحطة، أو إلى مقرِّ الوزير؟ هذه القوى هي منبع السعادة تتفجّر منها كما يتفجّر الماء من الصخر نقيّا عذبا، فتتركونه وتستقون من الغدران الآسنة، والسواقي العكرة!

يا أيها القراء: إنكم أغنياء، ولكنكم لا تعرفون مقدار الثروة التي تملكونها، فترمونها زهدا فيها، واحتقارا لها. يُصاب أحدكم بصداعٍ أو مغص، أو بوجع ضرس، فيرى الدنيا سوداء مظلمة؛ فلماذا لم يرها لمّا كان صحيحا بيضاءَ مشرقةً؟ ويُحْمَى عن الطعام ويُمنع منه، فيشتهي لقمة الخبز ومضغة اللحم، ويحسد من يأكلها؛ فلماذا لم يعرف لها لذّتها قبل المرض؟ لماذا لا تعرفون النِّعم إلا عند فقدها؟ لماذا يبكي الشيخ على شبابه، ولا يضحك الشاب لصِباه؟ لماذا لا نرى السعادة إلاّ إذا ابتعدت عنَّا، ولا نُبْصِرها إلاّ غارقة في ظلام الماضي، أو مُتَّشِحةً بضباب المستقبل؟ كلٌّ يبكي ماضيه، ويحِنُّ إليه؛ فلماذا لا نفكر في الحاضر قبل أن يصير ماضيا؟ أيّها السادة والسيدات: إنّا نحسب الغنى بالمال وحده، وما المال وحده؟ ألا تعرفون قصة الملك المريض الذي كان يُؤْتى بأطايب الطعام، فلا يستطيع أن يأكل منها شيئا، لمّا نَظَر مِن شبّاكه إلى البستاني وهو يأكل الخبز الأسمر بالزيتون الأسود، يدفع اللقمة في فمه، ويتناول الثانية بيده، ويأخذ الثالثة بعينه، فتمنَّى أن يجد مثل هذه الشهية ويكون بستانيّا.

فلماذا لا تُقدِّرون ثمن الصحة؟ أَما للصحة ثمن؟ من يرضى منكم أن ينزل عن بصره ويأخذ مائة ألف دولار؟... أما تعرفون قصة الرجل الذي ضلَّ في الصحراء، وكاد يهلك جوعا وعطشا، لما رأى غدير ماء، وإلى جنبه كيس من الجلد، فشرب من الغدير، وفتح الكيس يأمل أن يجد فيه تمرا أو خبزا يابسا، فلما رأى ما فيه، ارتدَّ يئِسا، وسقط إعياءً؛ لقد رآه مملوءا بالذهب! وذاك الذي لقي مثل ليلة القدر، فزعموا، أنه سأل ربَّه أن يحوِّل كلَّ ما مسَّته يده ذهبا، ومسَّ الحجر فصار ذهبا؛ فكاد يُجَنّ مِن فرحته لاستجابة دعوته، ومشى إلى بيته ما تسعه الدنيا، وعمد إلى طعامه ليأكل، فمسَّ الطعام، فصار ذهبا وبقي جائعا، وأقبلت بنته تواسيه فعانقها فصارت ذهبا، فقعد يبكي يسأل ربه أن يعيد إليه بنته وسُفرته، وأن يبعد عنه الذهب!

و"روتشلد" الذي دخل خزانة ماله الهائلة، فانصفق عليه بابُها، فمات غريقا في بحر من الذهب. يا سادة: لماذا تطلبون الذهب وأنتم تملكون ذهبا كثيرا؟ أليس البصر من ذهب، والصحة من ذهب، والوقت من ذهب؟ فلماذا لا نستفيد من أوقاتنا؟ لماذا لا نعرف قيمة الحياة؟ كلَّفتني من شهر أردت أن أكتب

مقالا، فما زلت أماطل به، والوقت يمرُّ، أيامه ساعات، وساعاته دقائق، لا أشعر بها، ولا أنتفع منها، فكأنها صناديق ضخمة خالية، حتى إذا دنا الموعد ولم يبق إلاّ يومٌ واحدٌ، أقبلْتُ على الوقت أنتفع به، فكانت الدقيقة ساعة، والساعة يوما، فكأنها العلب الصغيرة المُثْرعة جوهرا وتبرا، واستفدت من كلِّ لحظة حتى لقد كتبت أكثره في محطة (باب اللوق) وأنا أنتظر (الترام) في زحمة الناس، وتدافع الركاب، فكانت لحظة أبرك عليَّ من تلك الأيام كلِّها، وأسِفْتُ على أمثالها، فلو أنِّي فكرت كلَّما وقفت أنتظر (الترام) بشيءٍ أكتبه -وأنا أقف كل يوم أكثر من ساعة متفرِّقة أجزاؤها- لربحت شيئا كثيرا. ولقد كان عندي صديق جليل يتردد من سنوات بين دمشق وبيروت، يعلِّم في كلية المقاصد وثانوية البنات فكان يتسلَّى في القطار بالنظر في كتاب



(قواعد التحديث) للإمام "القاسمي"، فكان من ذلك تصحيحاته وتعليقاته المطبوعة مع الكتاب. والعلامة "ابن عابدين" كان يطالع دائما، حتى إنه إذا قام إلى الوضوء أو قعد للأكل أمر من يتلو عليه شيئا من العلم فألّف (الحاشية). و"السَّرَخْسي" أَمْلَى وهو محبوس في الجبِّ، كتابه (المبسوط) -أَجَلَّ كتب الفقه في الدنيا- وأنا أعجب ممن يشكو ضيق الوقت!

وهل يُضَيِّق الوقت إلاّ الغفلة أو الفوضى؟

انظروا كم يقرأ الطالب ليلة الامتحان، تروا أنَّه لو قرأ مثله لا أقول كلَّ ليلة، بل كلَّ أسبوع مرة لكان علاّمة الدنيا. بل انظروا إلى هؤلاء الذين ألّفوا مئات الكتب "كابن الجوزي"، و"الطبري"، و"السيوطي"، و"الجاحظ". بل خذوا كتابا واحدا ك (نهاية الأرب)، أو (لسان العرب)، وانظروا هل يستطيع واحد منكم أن يصبر على قراءته كلّه، ونسْخه مرة واحدة بخطِّه فضلاً عن تأليف مثله من عنده؟ والذِّهن البشري، أليس ثروةً؟ أما له ثروة؟ أما له ثمن؟ فلماذا نشقى بالجنون، ولا نسعد بالعقل؟ لماذا لا نمكِّن للذّهن أن يعمل؟ ولو عمل لجاء بالمدهشات!

لا أذكر الفلاسفة والمخترعين، ولكن أذكِّركم بشيء قريب منكم، سهل عليكم؛ هو الحفظ. إنكم تسمعون قصة "البخاري" لمَّا امتحنوه بمائة حديث خلطوا متونها وإسنادها، فأعاد المائة بخطئها وصوابها. و"الشافعي" لمَّا كتب مجلس مالك بريقه على كفه، وأعاده من حفظه. و"المعرِّي" لما سَمِع أرْمَنِيَّيْنِ يتحاسبان

بِلُغَتهما، فلما استشهداه أعاد كلامهما وهو لا يفهمه. و"الأصمعي" و"حمَّاد الراوية" وما كانا يحفظان من الأخبار والأشعار، و"أحمد" و"ابن معين" وما كانا يرويان من الأحاديث والآثار، والمئات من أمثال هؤلاء... فتعجبون، ولو فكَّرتم في أنفسكم لرأيتم أنكم قادرون على مثل هذا، ولكنكم لا تفعلون.

انظروا كم يحفظ كلٌّ منكم من أسماء الناس، والبلدان، والصحف، والمجلات، والأغاني، والنكات، والمطاعم، والمشارب...؟ وكم قصة يروي من قصص الناس والتأريخ؟ وكم يشغل من ذهنه ما يمرُّ به كلَّ يوم من المقروءات، والمرئيات، والمسموعات؟ فلو وضع مكان هذا الباطل علما خالصا، لكان مثل هؤلاء الذين ذكرت. أعرف نادلاً كان في (قهوة فاروق) في الشام من عشرين سنةً -اسمه "حلمي"- يدور على رُوَّاد القهوة -وهم مئات- يسألهم ماذا يطلبون: قهوة، أو شايا، أو هاضوما (كازوزة أو ليمونا)، والقهوة حلوة ومُرّة، والشاي أحمر وأخضر، و(الكازوزة) أنواع، ثم يقوم وسط القهوة، ويردد هذه الطلبات جهرا في نَفَسٍ واحدٍ، ثم يجيء بها، فما يخرم مما طلب أحدٌ حرفا!

فيا سادة: إن الصحة والوقت والعقل، كلٌّ ذلك مال، وكلٌّ ذلك من أسباب السعادة لمن شاء أن يسعد. وملاك الأمر كلِّه ورأسه الإيمان، الإيمان يُشبع الجائع، ويُدفئ المقرور، ويُغني الفقير، ويُسَلِّي المحزون، ويُقوِّي الضعيف، ويُسَخِّي الشّحيح، ويجعل للإنسان من وحشته أنسا، ومن خيبته نُجحا. وأن تنظر إلى من هو دونك، فإنك مهما قَلَّ مُرَتّبك، وساءت حالك أحسنُ من آلاف البشر ممن لا يقلُّ عنك فهما وعلما، وحسبا ونسبا. وأنت أحسن عيشةً من عبد الملك بن مروان، وهارون الرشيد، وقد كانا مَلِكَي الأرض.

فقد كانت لعبد الملك ضرسٌ منخورةٌ تؤلمه حتى ما ينام منها الليل، فلم يكن يجد طبيبا يحشوها، ويلبسها الذهب، وأنت تؤلمك ضرسك حتى يقوم في خدمتك الطبيب. وكان الرشيد يسهر على الشموع، ويركب الدوابَّ والمحامل، وأنت تسهر على الكهرباء، وتركب السيارة. وكانا يرحلان من دمشق إلى مكة في شهرٍ، وأنت ترحل في أيام أو ساعات.

فيا أيها القراء: إنكم سعداء ولكن لا تدرون؛ سعداء إن عرفتم قدر النِّعم التي تستمتعون بها، سعداء إن عرفتم نفوسكم وانتفعتم بالمخزون من قواها... سعداء إن طلبتم السعادة من أنفسكم لا مما حولكم، سعداء إن كانت أفكاركم دائما مع الله، فشكرتم كل نعمة، وصبرتم على كل بَلِيَّة؛ فكنتم رابحين في الحالَيْن، ناجحين في الحياتَيْن. والسلام عليكم ورحمة الله.





د. إيهاب الشموري

التطبيع مع الصهاينة وسبل مواجهته

التطبيع هو بناء علاقات رسمية وغير رسمية سياسية واقتصادية وثقافية وعلمية واستخباراتية مع الكيان الصهيوني، والتطبيع هو تسليم للكيان الصهيوني بحقه في الأرض العربية بفلسطين، و في بناء المستوطنات و تهجير الفلسطينيين و تدمير القرى والمدن العربية، وهكذا يكون التطبيع هو الاستسلام والرضا بأبشع مراتب المذلة والهوان والتنازل عن الكرامة وعن الحقوق.

والتطبيع يعني جعل ما هو غير طبيعي طبيعيا، ولا يعني بالضرورة إعادة الأمور إلى طبيعتها كما يذهب بعضهم.. و بالتالي لا ضرورة للإصرار على استخدام مقاومة الصهيونية بدلاً من مقاومة التطبيع، باعتبار التطبيع يمثل "عودة مزعومة لوضعٍ معين كان يوما ما طبيعيا، وفي اللغة تأتي لفظة تطبيع على وزن "تفعيل"، فهي عملية وصيرورة دائبة وصولاً لتحقيق غاية، فالتطبيع نهج وأداء وعقلية جوهره كسر حاجز العداء مع العدو الصهيوني بأشكال مختلفة، سواء أكانت ثقافية أو إعلامية أو سياسية أو اقتصادية أو سياحية أو دينية أو أمنية أو إستراتيجية أو غيرها.

و فحوى التطبيع مع العدو الصهيوني يبقى واحدا وهو جعل الوجود الصهيوني في فلسطين أمرا طبيعيا، وبالتالي فإن أي عمل أو قول أو صمت أو تقاعس يؤدي إلى التعامل مع الوجود الصهيوني في فلسطين كأمر طبيعي يحمل في طياته معنى طبيعيا.

ويُراد بالتطبيع إقامة علاقات طبيعية في الجوانب المختلفة: فهناك تطبيع سياسيّ، وتطبيع اقتصادي، وتطبيع دبلوماسي، وغير ذلك. وكل هذه الجوانب مرفوضة ولا تحتاج إلى اجتهاد كبير، فهي واضحة جلية، إن الكيان الصهيوني اليوم لا يعترف بأي حق إنساني لأكثر من ستة ملايين فلسطيني مشردين في الأرض، بحجة أنهم خرجوا قبل جيل أو جيلين، في حين يرون حق الهجرة في كل لحظة ومتى شاءوا لليهود الذين يحتمل أن أجدادهم قبل سبعين جيلاً مرّوا من فلسطين، أو أن أجدادهم لم يعرفوا أصلاً شيئا اسمه فلسطين، لأنهم

لا يمتون بأي صلة إلى سكان هذه المنطقة. و من استعراض الصراع العربي الصهيوني نجد أن الكيان الصهيوني هو الذي أصر على تطبيع العلاقات مع العرب، وأن سياسته نحو الحرب أو نحو السلام تركزت أساسا في التطبيع باعتبار أنه الضمان الرئيسي والأساسي لبقاء الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

لقد أراد هذا الكيان الغاصب إقامة علاقات اعتيادية مع العرب بحيث يقبل الإنسان العربي هذا الوجود الاستيطاني على أنه جزء من الوطن العربي ولا يضع هذا الوجود موضع تساؤل. فالعلاقات الاعتيادية لها درجات صعود وهبوط لكنها تبقى تدور ضمن منطق الحياة السياسية وليس ضمن منطق عدائي يستهدف فيه طرف وجود الطرف الآخر.

و التسليم بوجود الكيان الصهيوني يحميه من هاجس الإزالة ويصب في مصلحة من يدافع عن وجوده واستمراره ويضمن له الاطمئنان بأن العرب لن يستندوا إلى التأريخ القديم للمطالبة بحقهم في فلسطين فبالتطبيع يتحول الماضي إلى مجرد ذكريات لا سبيل لها للتأثير بالحاضر أو المستقبل.

و الكيان الصهيوني نشأ و مازال مستمرا بالوجود بمساعدة الدول الاستعمارية، التي منحته المساعدات بلا حساب ليصبح الأقوى في مواجهة العرب، وحاول هؤلاء جميعا بوساطة القوة و فرض الأمر الواقع تطويع العرب، فألحقوا بالفلسطينيين و الدول العربية الهزائم المتكررة حتى باتوا غير قادرين على المواجهة و لا الحصول على حقوقهم.

ومع بعض المحفزات الترغيبية تحول الحكام العرب شيئا فشيئا من الرفض المطلق إلى التردد، ومن ثم إلى القبول التدريجي بالكيان الصهيوني، حتى أوصلونا إلى مستويات تطبيعية رسمية متنوعة.

و من صحيح القول أن الاندفاع التطبيعي يتأرجح لكن لا يصل الآن إلى الرفض كما كان في السابق، قبل فتح قنوات التطبيع العلنية و السرية، ولكن من الملاحظ أن منطق القبول بتطبيع العلاقات مع الصهاينة لا يشابه إقامة العلاقات الاعتيادية فيما بين دول العالم غير المتنازعة، فهو بالنسبة للذات العربية والإسلامية له انعكاسات ذاتية وجماعية من نتيجة الإرث الحضاري و التأريخي و حقيقة أن الكيان أقيم بالاغتصاب و العدوان، و التطبيع مع الكيان الصهيوني لا يخلو من الامتدادت النفسية ومقومات الشخصية والهوية، فهو ليس مجرد شعار مؤقت بهدف تخطي حقبة العجز العربي الحالية إلى حين تنفرج الأمور وتتغير الأحوال لصالح الإنسان العربي، وإنما التطبيع يقصد به التغلغل في وعي الإنسان العربي خاصة و المسلم عامة، لتجذير الهزيمة كحقيقة لا يمكن تجاوزها أو التغلب عليها، فلا مفر من القبول بهذا الوجود الصهيوني كحقيقة يتم التعايش و إياها.

وكأن التطبيع يخاطب العقل العربي والنفسية

العربية قائلا:" إن العجز قد أحاط بالعرب وهو واقع بل قدر لا مفر منه وأنه لا مجال أمامهم سوى الاستسلام له وتوريثه لأبنائهم ليصبح مكونا تربويا لا تتمرد عليه الأجيال.

و هكذا فالتطبيع هو الترجمة العملية لترسيخ الهزيمة في النفس العربية بما يتضمنه ذلك من شروط القبول غير المتردد بالهزيمة".

بعبارة أخرى، إنه ترسيخ للهزيمة بحيث تشعر النفس بارتياح على الرغم من أجواء الهزائم و في وجود الكيان الصهيوني المغتصب. و التطبيع بالنسبة للكيان الصهيوني لا يعني مجرد إقامة علاقات تجارية أو مفوضيات أو سفارات، وإنما يرغب الصهاينة في أن يشمل مراجعة مفاهيم الصراع و الوقائع التأريخية والأسس الدينية، أي يجب أن يكون عملية قلب جذرية للنظرة العربية والإسلامية تجاه الصهيونية و كيان الاغتصاب الاستيطاني الذي أقاموه في فلسطين المحتلة، بحيث ينشأ عربي مسلم جديد بمفاهيم جديدة تنسف كل ما سبق له معرفته من حقائق التأريخ و الجغرافية، و مفاهيم الحق و المواطنة و الإنتماء للأمة و التنكر لماء جاء في القرآن الكريم من آيات تتعلق باليهود. وان لم يكن التطبيع كذلك، فإن الصهاينة يعتقدون أن بروز الصراع من جديد احتمال قائم، لأن جذوره كامنة حتى يحين وقت انبثاقها.

فإذا كان للصراع أن يدفن نهائيا فانه لا بد من نسف الأصول والمنابت وأسس تشكيل الشخصية العربية الإسلامية. وعليه فإن الصهاينة و المتواطئين و إياهم من عرب الجنسية، يريدون أن يكون التطبيع منهاجا حياتيا جديدا ومبرمجا بطريقة مؤثرة تخلق قيما تربوية وأخلاقية جديدة تتفق و تطلعات الحركة الصهيونية وتشكل أساس المستقبل.

وضمن هذا الإطار العام وجد الكيان الصهيوني أن الضمان الأهم لاستمرار وجوده هو أن يكون مقبولا من قبل العرب والمسلمين باعتبار هذا الكيان جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي مثله مثل أي قطر عربي آخر، وأن يتم التعامل مع هذا الكيان كدولة لها الحق في الوجود والعيش بسلام و لها علاقات اعتيادية مع الآخرين كأي دولة أخرى في المنطقة.

ولهذا عمل هذا الكيان المغتصب منذ قيامه و لحد الآن على البحث عن وسائل انفراج مع العرب و المسلمين، وإقامة علاقات غير عدائية بل واعتيادية معهم. وقد تركز الجهد الصهيوني في الشارع العربي, و اهتم كثيرا بالإنسان العربي العادي لأنه هو الباقي وليس الحكام. و يظن الصهاينة أن القبول بهم كدولة في المنطقة من قبل القادة والحكام والزعماء العرب لا يكفي كضمان استمرار و بقاء الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة، بسبب عدم استقرار الأنظمة الحاكمة في الوطن العربي وعدم قدرة بعض الحكومات على تحقيق الإستمرارية و البقاء بالسلطة إلا بقوة المخابرات والبنادق والسجون. فالقبول بالوجود الصهيوني من قبل هكذا سلطات

عربية مهزوزة من المتوقع أن يتهاوى مع تهاوي هذه الزعامات وحكوماتهم, ومن السهل أن ينقلب القبول إلى رفض قوي و شامل، و هذا ما نلمسه وله بوادر قوية رافضة للتطبيع و للوجود الصهيوني في أكثر من قطر عربي.

وحتى يكون هذا الكيان الصهيوني مقبولا كجزء لا يتجزأ من المنطقة ومعترفا به فانه لا بد من توفر القبول الشعبي به. و هذا ما كان و لن يكون أمرا سهلا، فلا بد للصهاينة من تحقيق اختراقات تجعل قبولهم من مختلف فئات الشعب العربي أمرا ممكنا. وفي ظل العداء الواسع في الوطن العربي للكيان الصهيوني الغاصب، لم تكن وسائل الإقناع العادية متوفرة للصهاينة ولم يكن أمامهم سوى الحرب و وسائل العنف والتدمير. لذا الحركة الصهيونية كانت بحاجة إلى: قادة عرب لا يتمتعون بغيرة على أمتهم وشعوبهم ومن الممكن تسييرهم,

هذا أولا، و ثانيا، فرض الكيان الصهيوني نتيجة هزائم عسكرية تلحق بالعرب تؤدي إلى إحباطات متراكمة وترسخ فكرة الاستسلام. وهكذا فإن الحركة الصهيونية اعتمدت على آليتين هما من جهة بث اليأس والإحباط، و من جهة أخرى صنع قيادات عربية قابلة للهزيمة.

و القادة العرب المتعاونون مع الصهاينة اعتمدوا على آليتين أيضا، و هما أولا :التماشي اللفظي مع تطلعات الجماهير، و ثانيا : تأهيل الأمة العربية و الإسلامية للتفتت والهزائم بوساطة سياساتهم الداخلية والخارجية.

وقد تكامل الدور الصهيوني مع الدور الرسمي العربي وانتهت الأوضاع إلى حيث أرادت الحركة الصهيونية، وهو الجلوس إلى طاولة المفاوضات لصنع سلام زائف هو استسلام للكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين يقوم على الاعتراف المتبادل وفتح الأبواب أمام علاقات اعتيادية بين دول عربية و هذا الكيان العدواني.

فكيف تكون مواجهة التطبيع :

أولا:الإقرار أن التطبيع ليس بإعصار لكون الأمة ترتكن إلى تراث ثقافي عميق مما يجعلها أمة غير سهلة الإنصياع للبدائل الثقافية بل إن ثقافتها تنطوي على عناصر مقاومة الدخيل .

ثانيا :مقاومة هذا المشروع التطبيعي لا يكفي بالاعتماد على مجرد التحذير فقط، بل بتطوير ثقافتنا كي نجابه مشروع التطبيع والتحديات الثقافية الأخرى .

ثالثا :تكريس ثقافة الوحدة اي تنمية عناصر الوحدة في مجتمعنا لأن ثقافة التفرقة و الفتنة من أبرز العناصر الممهدة للتطبيع الثقافي، و يجب أن لا نقع في ثقافة القهر والإستسلام .

رابعا :أدرك الصهاينة أن الثقافة العربية صعبة الإختراق لمتانتها لذلك سعوا إلى إختراق بعض المثقفين العرب لإستخدامهم للترويج لحملة التطبيع ونشر ثقافة اليأس في الأمة، و هؤلاء المتعاونون تحولوا بالترغيب و الترهيب إلى مدافعين عن الصهاينة

وسقطوا فريسة المشروع الإستعماري الثقافي.

وفي هذا السياق فإن الإهتمام بصقل معارف الأجيال الجديدة وتنمية مداركها وربطها بتراثها وبقضايا امتها وتحديات العلم وبنظرتها إلى دورها ومسؤوليتها في المجتمع يشكل مجالا مهما من مجالات تنمية الثقافة القومية ومقاومة كل مشاريع التطبيع



ولتتحول مواجهة التطبيع ومقاومته إلى ممارسة وطنية مستمرة ومشاركة في نضال طويل الأمد وبخاصة أن مواجهة التطبيع إتخذت شكلا عفويا، كما ساهمت المؤسسات الدينية الإسلامية والمسيحية مساهمة بارزة في مواجهة التطبيع. لذلك لا بد من تحويل مقاومة التطبيع إلى حالة وطنية و قومية عربية و إسلامية و محاصرة القوى المتعاملة مع الصهاينة و التخلص منها، و إلغاء الصفقات الكبرى السرية و العلنية للحكومات العربية و الإسلامية، وتابعيهم من رجال الأعمال مع التأكيد على المقاومة الشعبية للتطبيع، و رفض وجود الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة،

فهذه من الوسائل المتاحة، التي يمكن أن تخفف من الأثر السلبي لأي قرار رسمي بالتطبيع.



عهد كانت وَ ستبقى حرة

إلياس العطروني

أطلق الاحتلال سراح عهد التميمي بعد ان أنهت عقوبتها.. وهم عاقبوها فعلا، لكنهم لم يعلموا أنهم صنعوا منها أيقونة مقاومة جديدة للشعب الفلسطيني.

فهذه الصبية تحوّلت إلى رمز، و أصبحت تجسّد حقيقة فلسطين أكثر من كل المؤتمرات والمفاوضات والقرارات

ففي عينيها بحر حيفا ويافا وفي شعرها الذهبي أشجار الجليل،

وفي شموخها أمام الجندي الصهيوني و تحديها له إستحضار لتأريخ القدس البطولي.

وبالأمس تأملت صورة نشرت لعهد مع ليلى خالد، فبعثت في نفسي التفاؤل والأمل، إنه تعاقب الأجيال إذن،والقضية التي تتعاقب الأجيال في حملها لا تموت، و يستحيل قتلها ولا بأشرس أسلحة العالم.

كثيرات سبقن عهد في ميدان المقاومة مناضلات

ولا أنسى صورة لقرية جزائرية يستقبل سكانها المناضلة جميلة بوحيرد، أشهر مناضلات الثورة الجزائرية، يا لهذا التأريخ النضالي العربي الذي يُعيد نفسه !!

و في لبنان من منا لا يتذكر الزهرات التي زرعت رحيق دمها لتحرير تراب الجنوب من رجس الإحتلال الصهيوني ؟

بوجود كل هذه التضحيات نجد من يكتب ورقة نعي الأمة العربية و

وأمة فيها هذه الأيقونات حية ما ماتت و لن تموت !

ربما يخدرونها، أو يغرقونها في سبات مصطنع، لكنهم لا يستطيعون قتلها، لأن لها من تراثها الخزين الكافي لاستمرار وجودها و عطائها الذي لا ينضب.

وأستحضر صورة لميس رفيقة غسّان كنفاني في سيارته المفجرة فأرى السلسلة واحدة بدأت ولم تنته.

فأوّل ما قالته عهد التميمي فور إطلاق سراحها:

لن نستسلم وسنستمر في مقاومة الاحتلال !

و هذه العبارة كلام يحلق عالياً كموقف قوة

يقفز فوق كل قرارات مجلس الأمن وجمعيته العمومية.

هذه هي عهد التميمي ابنة الأرض العربية التي تنطق و تفصح عن مكنونها الثر الذي لا ينضب !..

هذه هي عهد التميمي في هذه الأيام ظاهرة للعزة و الكبرياء، تعلو شامخة في مواسم الجدب القومي والقحط الوطني.

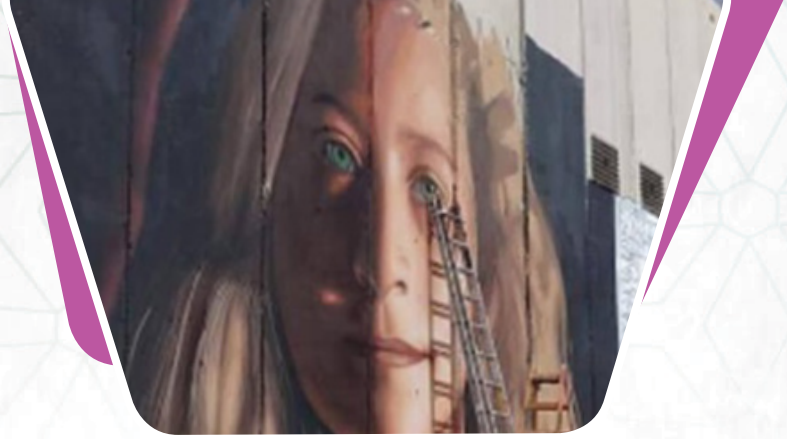
ظاهرة تهل علينا كبلسم لجراح مفتوحة، وأمل يزيح اليأس والإحباط من هذا الواقع المؤلم.

ظاهرة تحيي مشاعر عربية يتوهمون أنها ماتت أو خبت أو تلاشت تعود كبرميل بارود ينتظر الشرارة ! و هاي هي

شرارة ستأتي...

ويفوح عطرها نورا و بريقا من وجه عهد





عهد التميمي ... عهد عربي واعد

مروان الميـس

عهد التميمي هي عهد جديد في طريق النضال والجهاد، هكذا خرجت من سجون الإحتلال الصهيوني بعد إعتقال دام ثمانية أشهر بعد مواجهتها للعدو الصهيوني بجنوده وعتاده، و تصديها الشجاع لأعماله الوحشية التي يمارسها يوميا هذا العدو الغاضب ضد الشعب الفلسطيني بشيبه وشبانه، حيث يجري تشريد النساء والأطفال من دون رحمة أو شفقة و على مرأى ومسمع من العالم.

فهذا الإعتداء الوحشي الذي نراه في الأراضي الفلسطينية هو إرهاب بكل ما للكلمة من معنى، ولكن للأسف الشديد لا نعرف من هو ولي الأمر العربي أو المسؤل المسلم المعني بكل ما جرى ويجري بأحوال أمتنا، فلا أحد من هؤلاء يتابع قضية فلسطين و لا أحوال شعبها ولا قضاياهم المحقة، و ربما ندد بعضهم بأفعال المغتصبين الصهاينة، فهل يكفي التنديد والإستياء مما يحصل في فلسطين من سقوط العديد من الجرحى والقتلى والإستيلاء على الأرض ومصادرة الممتلكات ؟...فهل هان الإنسان العربي على الحاكم العربي أو المسلم ليسمح للطاغوت الصهيوني فعل ما يشاء وقتل من يريد والإعتداء على من شاء من دون حسيب ولا رقيب ؟.

و في المقابل لا يغيب عنا كيف يصور الإعلام كل ما يحصل بتلوين الصورة وتلطيف جرائم العدو الصهيوني و تصويرها دفاعا عن النفس، ليصبح المعتدي بريئا والمعتدى عليه آثما، و هذا ما حدث عندما تم إلقاء القبض على عهد و الحكم عليها بالحبس، و لكنها بشجاعة المناضلين و عزيمة الأحرار خرجت من السجن، و قد عاهدت الله ورسوله أن تحمل الأمانة بمقاومة أعداء الدين ومغتصبي الأرض، و أعلنت عودتها إلى ساحة النضال والجهاد.

و عهد التميمي منذ طفولتها ولحد الآن تجسد معالم الجرأة ومعالم الحرية والنضال والجهاد التي يفتقدها الكثيرون من حكام

وملوك أمتنا، فالقلب الحي لعهد، و الذي يسكنه ألم ووجع الشعب الفلسطيني المناضل ليس كقلوب هؤلاء الحكام و لا يشبه ضمائرهم التي غابت عنها المشاعر الإنسانية، أما عهد وأخواتها وإخوانها فعشق الحرية وإن قادهم إلى السجن والإعتقال يعتبرونه ممراً وجسراً للخلاص من الظلم والإستبداد.

وهكذا أصبحت عهد التميمي رمزاً للكرامة والشهامة يعتز بها العرب، فالإلتزام بقضية فلسطين و كل القضايا العادلة للشعوب هو في التأريخ إيمان و نضال باسل لكل الأبطال كعهد التميمي، و هو أنموذج حي لا يغيب وصورة مشرقة في أذهان المخلصين من المناضلين.

و هكذا في زمن الخذلان والخيانة سطرت عهد زمناً جديداً في الثورة على الظلم، و ما صرحت به بعد خروجها من السجن قولها : إن المقاومة والنضال مستمران إلى حين زوال الإحتلال! انما هو تجديد الإلتزام مرة أخرى بقضيتها العادلة من أجل حرية فلسطين وعودتها حرة لأهلها إن شاء الله !







د. عبد الحسين شعبان
كاتب من العراق مقيم في بيروت

لبنان .. الحائر وَ المحيّر

غريب أمر هذا البلد الصغير في حجمه والكبير في حضوره، المتوافق ومحيطه والمختلف عنه. وإذا كانت مساحة الحرّيات واسعة فيه لكنّ الحقوق الأساسية للإنسان ظلّت منقوصة ومستلبة و"ديمقراطيته التوافقية" عائمة ومنحوسة، حتى وإن حافظت على التوازن فبقلق وبتوتر مستمرين مع موجات من العنف لم يكن بعيدا عنها تأثير العوامل الخارجية، ناهيك عن تهديدات " الكيان الصهيوني" بحكم التصاق لبنان بفلسطين.

وبعد أن كان يطلق على لبنان " سويسرا الشرق" عشية الحرب الأهلية 1975-1989، التي حصدت الأخضر واليابس، وإذا به ينحدر الى واقع حيث يجد التعصّب والتطرّف والعنف تربة صالحة فيه، لدرجة أن مظاهر العنف والإرهاب والتداخلات الدولية والإقليمية تعدّدت فيه واتخذت أشكالا مختلفة. وعلى الرغم من كل ما قدّمه لبنان للوطن العربي من إبداع وحداثة وتمدّن وأدب وفن وإعلام وتعايش على مدى تأريخه البعيد والقريب، فإن هذه المظاهر تنامت في جوفه أيضا، فيكفي أن تحدث مشاجرة بسبب المونديال لتنتهي بحادث قتل، ناهيك عن الرصاص الطائش الذي يتطاير فوق الرؤوس لمناسبة وغير مناسبة، وفي الأفراح والأتراح، الأمر الذي فاقمه احتدام الوضع الاجتماعي وتردي الأوضاع الاقتصادية.

وبقدر ما يتمسّك اللبناني بوطنه ويذود عنه فإنه يضطر للهجرة، بحيث أصبح اللبنانيون الذين يعيشون في الخارج أكثر من هم في الداخل بما يزيد على الضعفين، ومع ذلك فإن هذا البلد يستقبل ملايين من اللاجئين السوريين، و جنسيات عربية أخرى، وكان من نتائج زيادة أعداد اللاجئين آثار سلبية اقتصادية و اجتماعية و ارتفاع منسوب العنف وانتشار المخدرات والإتجار بالبشر وعمالة الأطفال، و التسوّل والجريمة المنظّمة. وإذا كان هذا الواقع أحد أوجه الوضع اللبناني، فإن هناك وجها آخر هو أقرب إلى المفارقة حيث يبقى لبنان يسبح عكس التيار، فقد دفعت تلك الأوضاع جهات مدنية ورسمية للتفكير في مواجهة ظاهرة العنف والحدّ من تأثيراته، وقد استجاب مجلس الوزراء اللبناني بأريحية واتخذ مبادرة بتوصية من وزارة الثقافة حين قرّر

اعتماد يوم 2 اكتوبر (تشرين الأول) يوما وطنيا لثقافة اللّاعنف، وحسب علمي فلبنان أول بلد عربي ينحو هذا المنحى وتجري الاستعدادات للاحتفال بهذه المناسبة في السراي الحكومي .

وإذا كان هذا ينم عن إدراك سليم بأن العنف الذي عانى منه لبنان لم يترك تأثيره بالبنى التحتية الأساسية والمرافق الحيوية ويحصد عشرات الآلاف من الأرواح فحسب، بل إنه انغرس في النفوس وانغمس في الأرواح، الأمر الذي يحتاج إلى معالجة من نوع جديد ليس للآثار الضارة والخطيرة، الواقعة على الضحايا وعلى المجتمع وامتداداتها وتأثيراتها العائلية والتربوية والدينية فحسب، بل لنشر ثقافة اللّاعنف والتسامح، باعتبارها ثقافة بديلة. وكانت وزارة التربية والتعليم العالي قد قررت إدخال مادة اللّاعنف في المناهج الدراسية والتربوية و في جميع المستويات الدراسية، وتقديم البديل عن ثقافة العنف السائدة والتي لفّت لبنان والمنطقة بشرنقتها، لاسيّما العنف الطائفي والديني والإثني والمجتمعي ولم يعد أمرا عابرا أو نزاعا محليا، بقدر ما أصبح جزءا من صراع دولي باسم الدين أو الطائفة أو التنوّع الثقافي أو العادات والتقاليد أو غير ذلك.

وهكذا يدرك هذا البلد الصغير أهمية التربية على اللّاعنف، ولا بدّ أن يكون ذلك جزءا من عمل مشترك بتوفّر الإرادة السياسية يفضي إلى تجفيف منابع العنف الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية والمالية، وهذه مهمة طويلة الأمد وتتطلب جهودا كبيرة ومستمرة لتحقيقها، مثلما تحتاج إلى تعاون دولي وإقليمي فعّال. إن إدخال التربية على اللّاعنف في المناهج الدراسية يعني من الناحية العملية تشجيع ثقافة التواصل والتفاعل والتبادل، وثقافة السلام والتعايش بين أبناء الوطن الواحد وبين البشر بغض النظر عن انتمائهم الديني أو الطائفي أو الإثني أو اللغوي أو الجهوي، ويفترض ذلك أيضا الإقرار بالمساواة التامة ومنع التمييز لأي سبب كان، مع الإدراك إن ذلك لن يحصل بالقوانين وحدها - وإنْ كانت ضرورية- بل بوساطة الحياة المشتركة، حيث تلعب الثقافة والأدب والفن والرياضة والتجارة والسياحة والصداقة كل في مجاله دورها المهم.

و بلدية بيروت قد وافقت على وضع تمثال اللّاعنف "العالمي" (المسدس المعقوف الذي صممه الفنان السويدي كارل فريدريك رويترزفارد) على قاعدة ضخمة في "منطقة الزيتونة"، وتتعاون المكتبة الوطنية لوضع رمز للّاعنف يمثل النموذج العالمي في مدخلها الأساسي أيضاً كجزء من حملة تنوير بأهمية اللّاعنف.

ولبنان هذا البلد الصغير أسس أول جامعة للّاعنف في العالم وهي " الكلية الجامعية للّاعنف وحقوق الإنسان AUNOHR"، حيث تفتح لبراعمها بلورت باقة القرارات اللّاعنفية التي تمت الإشارة إليها في أعلاه على الصعيد الحكومي أو في نشر ثقافة اللّاعنف في الساحات والحدائق العامة وفي مجال الفنون والآداب، وهكذا يغدو لبنان على الرغم من كل شيء مغلما ثقافيا وحضاريا في نشر ثقافة اللّاعنف. وبقدر كونه حائرا فإنه بلد محيّر وغريب ومتميّز من كل ما فيه.





د. يوسف الورداني
كاتب من لبنان

إيران .. الدولة المنبوذة وَالمارقة

علق الخميني حبلاً في رقبة إيران، يوم أقر الدستور الجديد للجمهورية الإسلامية، و من ضمنه المادة "54" التي جاء فيها:"الجمهورية الإسلامية في إيران، تعتبر سعادة الإنسان في جميع المجتعات البشرية مثلها الأعلى، و ترى أن تحقيق الإستقلال و الحرية و السيادة و العدالة، من حق جميع شعوب العالم، و لهذا فإن الجمهورية الإسلامية تتعهد بعدم التدخل في شؤون البلدان الأخرى"، و تضيف المادة نفسها "لكنها –أي الجمهورية الإسلامية- تلتزم إسناد كل النضالات المحقة للمستضعفين أمام مستكبري العالم".

وهذه المادة في طياتها تحمل تناقضاً يصل إلى حد العبث، فمن جهة نصت على التزام بعدم التدخل في شؤون البلدان الآخرى و في الوقت نفسه تنص على إسناد كل النضالات، و هذا يعني أنها تجعل من إيران قوة تدخل عابرة لحدودها، لدعم نضالات المستضعفين، و لكن الواقع كشف عن تحول إيران ذاتها إلى قوة تساند المستكبرين ضد المستضعفين.

ومنذ بداية تسلم الخميني السلطة اتجه إلى سياسة استخدام القوة و المواجهة في الداخل و الخارج، واضعاً نفسه فوق الجميع، و متوجا ذلك بصياغة دستور جعل من المرشد صاحب الأمر و النهي عندما إبتدع إقرار ولاية الفقيه في غيبة الإمام المهدي المنتظر، و جعل إيران دولة لاهوتية كرست المذهب الجعفري في صلب الدستور، فبنى حاجزا عاليا بين إيران و الغالبية الساحقة من المسلمين أهل السنة و الجماعة.

وإفتتح الخميني مسار جمهوريته الإسلامية الإمامية الإثنتي عشرية الجعفرية الشيعية بالمواجهة مع العراق بحرب دامية استمرت ثماني سنوات، حيث مارس الظلم و القهر على الشعب الإيراني قبل غيره، حتى كفر الشعب بكل المبادىء و هو يرى أن مقدرات إيران و ثرواتها تهدر لتمويل خطط النظام بالتدخل في كل مكان من العالم، بدعوى حماية المستضعفين، بينما لا حرية و لا عدالة للشعب الإيراني نفسه، و هكذا فقد تفوقت إيران في صناعة الأعداء بمالها و دماء أبنائها، و فرضت على شعبها الفقر و البطالة و التخلف، فاستحقت أن تكون دولة مارقة و منبوذة. إن مشكلة النظام الإيراني مع العالم، لم تبدأ بمشروعه لتطوير سلاحه النووي أو الصاروخي، فالباكستان

الإسلامية امتلكت القنبلة النووية، و لم تشن الدنيا عليها معركة سياسية أو عسكرية، على الرغم من أن باكستان تقع في دائرة جغرافية سياسية متوترة و ساخنة، بحكم الموروث الحساس بينها و بين الهند.

و الحقيقة أن مشكلة إيران المزمنة هي خيار العنف العابر لحدودها، و الذي تصدره في صناديق السلاح و المال، و الإيديولوجيات الطائفية، على أكتاف شبابها الذين ترسلهم إلى الخارج أرتالاً لافتعال الحروب في مشارق الأرض و مغاربها، و المفارقة العجيبة أن ترسل إيران عشرات المبشرين إلى إفريقيا، لتحويل السنة إلى المذهب الشيعي في حين أن هناك ملايين البشر الوثنيين كان من الأجدى أن تسخر أموالها و مبشريها لهدايتهم إلى الإسلام.

و مؤخرا تدخلت إيران في تفاصيل الحرائق الدولية، التي لا قبل لها بها، على الرغم من المراوغة و النفس الطويل، لأن المسألة مع الإدارة الأميركية باتت مكلفة، و لعل الدليل الأبرز هو الهبوط الشديد لقيمة العملة الإيرانية الأخير. إن النقاط الإثنتي عشرة التي طرحها وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو، أعلن أنها ليست للتفاوض، بل هي للقبول أو للرفض، فإما أن يغير النظام الإيراني نهجه أو يجري تغيره بالقوة.

و في ظل هذا الوضع المتوتر، نجد أن أوروبا تقف حائرة بين الإصرار الأميركي و اللامعقول الإيراني، فالشروط الأميركية تغلق أبواب المناورات جميعها، و تحرج الأوروبيين و الروس و حتى الصين، على حد سواء، بعد أن صدر إعلان أمريكي رسمي يخير الآخرين بين إيران و أمريكا، فأما التعامل مع أمريكا أو التعامل مع إيران، و الردود الإيرانية ردود واضحة الارتباك، و من التأريخ القريب و البعيد، فإن ما يبدو تصلبا إيرانيا يخفي غير ما هو معلن، فمن غير المتصور أن تغلق الأبواب بين أمريكا و إيران، و الشواهد كثيرة.

و في ظل هذا الواقع الحالي، فإن إيران تبذل جهودا للتخفيف من آثار العقوبات، فمؤخرا قام الرئيس روحاني بزيارة إلى أوروبا للحصول على دعم الأوروبيين في مواجهة الموقف الأمريكي ضد إيران، و لكن المراقبين يميلون على أن نتائج الزيارة كانت متواضعة، لأن الموقف الأوروبي حتى الآن، لم يتمكن أن يغير شيئا من واقع الحال، كما أن ولايتي مستشار المرشد قام بزيارة إلى موسكو، و الملفت للانتباه أنها حصلت بالتزامن مع زيارة رئيس حكومة العدو الصهيوني نتنياهو لموسكو أيضا.

و في ظل هذه المستجدات يمكن القول بأن المرشد خامنئي يجد نفسه لأول مرة في مواجهة الحقيقة القاتلة، كما وجد سلفه الخميني نفسه مجبرا على ما وصفه بأنه كان يفضل تجرع كأس السم على أن يوافق على وقف إطلاق النار في الحرب على العراق. و هذا بالطبع نتيجة الموقف البطولي للجيش العراقي في التصدي لما سمي بتصدير الثورة الخمينية إلى دول الجوار بتأثير مطامع فارسية قديمة بالسيطرة على الخليج العربي و دوله المحاذية لإيران، و التي أضفى عليها خميني طابعا دينيا زائفا و طائفيا مقيتا.

و أخيرا أقتبس عن معارض إيراني مقيم في لندن قوله :"باسم الدين سادوا... و باسم الدين قطعوا الألسن وأهدروا الدماء...باسم الدين أهانوا الكرامات و شيعوا الآدمية....باسم الدين أمروا بالشر و نهوا عن فعل الخير...وقبل أن يجف اليقين، نعلنها براءة من هذا الدين".





د. فيصل قاسم
كاتب وإعلامي

لماذا انقلب الغرب على تركيا ؟

منذ إنهاء الخلافة العثمانية في مارس/آذار 1924م لم تشيُطن تركيا من قبل الغرب على الرغم من اجتياحها لقبرص، ونزاعها مع اليونان، لأنها كانت تحت حكم أنظمة وظيفية تؤدي أدوارا مطلوبة، بل حاول الغرب جعل النموذج التركي العلماني مثالاً للمنطقة، فضلاً عن استخدام تركيا قاعدة متقدمة عسكرية في الصراع مع المعسكر الشرقي .

ولم يعترض الغرب على الانقلابات التي كان يقودها الجيش، والتي كانت تمنع عودة تركيا لشخصيتها الإسلامية أو للتقارب مع محيطها الإسلامي. وتم عزل نجم الدين أربكان لأنه أعلن عن تأسيس الدول السبع الإسلامية.

وقد وصل حزب العدالة إلى السلطة في أسوأ أوضاع تركيا الإقتصادية، فقد كانت تقبع في المرتبة 111 وكانت تقديرات الإتحاد الأوروبي أن اقتصادها يحتاج 150 مليار دولار للنهوض بها، وهي دولة غارقة بالفساد وغياب الشفافية، ومدينة للبنك الدولي. وهذا يعني أن نجاحات حزب العدالة الإقتصادية مسموح فيها ما دامت في الإطار المحلي وعدم تحول تركيا إلى أنموذج إسلامي .

بدأت الحرب الحقيقية على تركيا بعد ثورات الربيع العربي وتأثر شعوب المنطقة بالنجاح الإقتصادي التركي وكذلك السياسي، وبمعنى أدق فإن المشروع البديل للحكم العسكري سيكون الحكم المدني من أصحاب التوجه الإسلامي، وهذا يعني أن المنطقة من مراكش حتى اسطنبول ستكون تحت أنظمة حكم متشابهة، وهذا سيؤدي لنهضة تلغي معادلة الغرب مع المنطقة بجعلها حديقة خلفية له يُمنع عليها النهوض والتقدم.

نجاح أردوغان حطم ما صاغه الغرب عبر السنوات الماضية من تخويف شعوبه بالإسلاموفوبيا، ولذلك كان لا بد من إيجاد تنظيم متوحش يتموضع في أهم منطقة حضارية «سوريا - العراق»، ويعطي صورة سلبية عن الإسلام، وقد لعب تنظيم «الدولة»

(داعش) هذا الدور المرسوم على أكمل وجه. وعملت الأنظمة العربية الوظيفية على دعم الثورات المضادة، ورأت أن نهاية الربيع العربي لا تكون بنهاية الثورات وإعادة انتاج الأنظمة الإستبدادية، بل لابد من إنهاء النموذج الملهم لها «تركيا»، وهذا يتسق تماما مع الرغبة الأمريكية .

وبدأ التدخل في الشأن الداخلي التركي وتضخيم ما يحدث منذ أحداث ساحة تقسيم 2013م والتي عمل الإعلام التابع لبعض الدول العربية على تصويرها على أنها ثورة ضد أردوغان، ثم جاء دعم التنظيم الموازي، وعلاقة غولن ببعض الدول العربية، زيادة على إقامته في أمريكا، ثم كان الانقلاب 2016م. ومن المعروف أن الإنقلابات العسكرية هي إحدى أساليب وكالة الإستخبارات الأمريكية (السي آي إيه) وهو السلاح الذي تهدد به أمريكا خصومها. وقد بدا الإعلام التابع لمدبري الثورات المضادة في الوطن العربي داعما لذلك الإنقلاب ومبشرا بنهاية أردوغان! وعندما فشل الإنقلاب كان لا بد من ورقة أخرى، ورقة الأكراد ودعم البكا (حزب العمال الكردستاني) في سوريا بالمال والسلاح وصناعة جيب إنفصالي جنوب تركيا، ومن ثم استنزاف تركيا والعمل على تقسيمها لإنشاء دولة كردية ضمن رؤية البكا .

و هناك حقيقة يجب عدم إغفالها تتمثل بوجود دولة سنية قوية تشكل مرجعاً للسنة أو شعورا بالحماية. وهذا أمر مرفوض، فأمريكا تخوض حرباً ضد السنة، ولكنها تعتمد على الوكلاء السنة في تلك الحرب. وبعد الثورة السورية وسحب صواريخ الباتريوت التابعة لحلف شمال الأطلسي من تركيا، إتجهت أنقره للصناعة العسكرية، وباتت الآن تنتج نحو (65 %) من سلاحها، وتصنع معدات عسكرية تضاهي السلاح الغربي، وهذا خط أحمر في تغيير المعادلة المتبعة منذ نحو مئة عام في إحتكار صناعة السلاح ! و من ينظر إلى ما ذكرناه أعلاه سيجد أن ثمة قاسما مشتركا بين الحلف المعادي لتركيا يتمثل بنقاط عدة :

منع تركيا من النهوض والعودة لقيادة العالم الإسلامي.
وأمريكا تحارب الديمقراطية في الوطن العربي والإسلامي وتفضل الحكم الإستبدادي.
إنهاء الثورات العربية هو مطلب أمريكي لأن نجاحها يعني إنهيار البناء العربي الرسمي وكذلك الإقليمي، وهذا ما ترفضه أمريكا .
ونجاح التجربة التركية في دولة لا تملك نفطا ولا غازا، وكانت متخلفة اقتصاديا، وذلك بسبب الحرية السياسة والشفافية يؤثر ببعض الأنظمة العربية حيث الثروة الهائلة مع ضعف التنمية وغياب الحريات ووجود الفقر.
وآخر وأهم أهداف الحلف المعادي لتركيا طبعا شيطنة أردوغان، والعمل على إنهائه قبل أن تعود تركيا دولة كبرى في العالم، وعندها لا يكون أمام أعدائها مزيد من التآمر أو الحرب العسكرية بعد فشل الحرب الوكالة، والحرب الإقتصادية والإنقلاب العسكري.

إذن هل صار مفهوما لماذا إنقلب الغرب على تركيا ؟

من روائـع الشـعر

إمـامُ الهدى

الدكتور عباس الجنابي



تأبى الحُروفُ وتسْتعصي معانيها ... حتّى ذكَرْتُك فانْهالتْ قوافيها
محمّد قُلْتُ فاخْضرّت رُبى لُغتي ... وسالَ نَهْرُ فُراتٌ في بواديها
فكيفَ يجْدِبُ حَرْفٌ أنْتَ مُلهِمُهُ ... وكيفَ تظمأ روحٌ أنتَ ساقيها
تفتحتْ زهرةُ الالفاظِ فاحَ بها ... مِسْكٌ من القُبّة الخضراء يأتيها
وضجّ صوتٌ بها دوّى فزلزلها ... وفجرّ الغار نبعا في فيافيها
تأبّدتْ أممٌ في الشركِ ما بقيتْ ... لو لمْ تكُن يا رسول الله هاديها
أنقذتَها من ظلام الجهلِ سرْتَ بها ... الى ذ ُرى النور فانجابت دياجيها
أشرقتَ فيها إماما للهُدى علَماً ... ما زال يخفِق ُ زهوا في سواريها
وحّدْت بالدين والايمان موقفها ... ومنْ سواك على حُب يؤاخيها
كُنت الامامَ لها في كلّ معْتـَرَكٍ ... وكنت أسوة قاصيها ودانيها
في يوم بدر دحرتَ الشركَ مقتدرا ... طودا وقفْتَ وأعلى من عواليها
رميتّ قبضة حصباءِ بأعْيُنها ... فاسّاقطتْ وارتوت منهُا مواضيها
وما رميتَ ولكنّ القدير رمى ... ولمْ تُخِب رمية ٌ الله راميها
هو الذي أنشأ الاكوانَ قُدرتُهُ ... طيّ السجل إذا ما شاء يطويها
ياخاتمَ الانبياءِ الفذ ّ ما خُلقتْ ... أرضٌ ولا تُبّتتْ فيها رواسيها
إلاّ لأنك آتيها رسولَ هُدىً ... طوبى لها وحبيب الله آتيها
حقائقُ الكون لم تُدركْ طلاسمُها ... لولا الحديثُ ولم تُكشفْ خوافيها
حُبيتَ منزلة ِلاشيء يعْدلُها ... لإنّ ربّ المثاني السّبع حابيها
ورفعْة ٍ منْ جبين الشمْس مطلعُها ... لا شيء في كوننا الفاني يُضاهيها
ياواقفا بجوار العرْش هيبتُهُ ... منْ هيبة الله لا تُرقى مراقيها
مكانة لم ينلها في الورى بشرٌ ... سواكَ في حاضر الدُنيا وماضيها
بنيت للدين مجدا أنت هالتُهُ ... ونهضة لم تزل لليوم راعيها
سيوفُك العدلُ والفاروقُ قامتُهُ ... والهاشميّ الذي للباب داحيها
وصاحبُ الغار لا تُحصى مناقبُهُ ... مؤسسُ الدولة الكبرى وبانيها
وجامعُ الذكر عُثمانٌ أخو كرمٍ ... كم غزوة بثياب الحرْب كاسيها
ياسيدي يارسول الله كمْ عصفت ... بي الذنوبُ وأغوتني ملاهيها
وكمْ تحملتُ اوزارا ينوءُ بها ... عقلي وجسمي وصادتني ضواريها
لكن حُبّكَ يجري في دمي وأنا ... من غيره موجة ٌ ضاعت شواطيها
يا سيدي يا رسول الله يشفعُ لي ... اني اشتريتُك بالدُنيا وما فيها



الوجوه والنظائر في القرآن

و نعرف باختصار بها بالقول : ان الوجوه تتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق المختلفة في المعنى، أما النظائر فهي تتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق والمعنى معا، ولكن هذا المعنى يصلح لأفراد كثيرة.

من ذلك لفظ الشرك

قال مقاتل البلخي في الشرك ثلاثة أوجه:
الأول: الشرك: **الإشراك بالله عزّ و جلّ يعدلُ به غيره**. فذلك قوله عزّ و جلّ في النساء:
(و لا تشركوا به شيئا)، يقول: لا تعدلوا به شيئا غيره. و فيها أيضاً :(إن الله لا يغفر أن يشرك به)، يعني: من يعدل به غيره. و قال في المائدة:(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة)، يعني: من يعدل غيره به فقد حرم الله عليه الجنة إذا مات. و كقوله في براءة :
(أن الله بريء من المشركين)، يعني: من الذين يعدلون به غيره و نحوه كثير.

الوجه الثاني: **الشرك في الطاعة من غير عبادة**. فذلك قوله في الأعراف لآدم و حواء:
(فلما أتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما)، يعني: جعلا إبليس شريكا مع الله في الطاعة في اسم ولدهما من غير عبادة. و كقوله في إبراهيم، حكاية عن قول إبليس:
(إني كفرت بما أشركتمون)، مع الله بالطاعة.

الوجه الثالث: **الشرك في الأعمال شرك الرياء**، فذلك قوله في الكهف:
(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه أحدا)، من خلقه، لا يريدون بذلك غير الله.





أ. زياد عبد الصمد
كاتب من لبنان

هل سيتمكن المجلس الدستوري من ترميم ما أفسدته السياسة؟

جرت الانتخابات النيابية في 6 ايار 2018 م بعد 9 سنوات من الانتظار أي بتأخير دام خمس سنوات عن موعدها الدستوري. وقد مدّد مجلس النواب لنفسه ثلاث مرّات متتالية، عن طريق تعديل المهل المنصوص عليها في قانون الانتخابات. حيث جاء التمديد الأول في 31 ايار 2013م ولمدة سنة وخمسة أشهر "تداركا لعدم الوقوع في حرب أهلية[1]" على وفق الاسباب الموجبة التي جاءت في مشروع القانون الذي تقدم به النائب نقولا فتوش. وتقدم عشرة نواب بطعن أمام المجلس الدستوري، الذي لم يتمكن من الاجتماع في نصاب قانوني للنظر في الطعن .

علماً أن النصاب القانوني هو الثلثين، أي ثمانية اعضاء من أصل عشرة، حيث تكرر غياب العضوين الشيعيين والعضو الدرزي، الى أن انقضت المهلة الدستورية للنظر بالطعون فتعذر على المجلس البت بالطعن مما جعل التمديدَ أمرا واقعا[2]. و في 5 تشرين الثاني و"لاسباب قاهرة" أقرالتمديد الثاني لمدة سنتين وسبعة أشهر. و هذه المرة تمكّن المجلس الدستوري من دراسة الطعن الذي تقدم به عشرة نواب، فجاء في قراره أن التمديد غير دستوري مسببا ذلك الى "انتفاء الاسباب القاهرة" التي تستدعي التمديد، وبالتالي فإن المجلس قد رأى أن التمديد ينتهك المعايير الدولية لحقوق الانسان، التي تتحدث عن المشاركة السياسية للمواطنين، كما أن التمديد ينتهك الدستور كون "الظروف غير قاهرة وليست استثنائية".

إلاّ أن قرار المجلس الدستوري سجل مفارقة غريبة عندما اعتبر أن التمديد بات أمرا واقعا، وقد جاء في النص: "ومنعاً لحدوث فراغ في مجلس النواب وقطع الطريق بالتالي على انتخاب رئيس للجمهورية، يعتبر التمديد أمرا واقعا." اذن بحسب المجلس الدستوري فان قانون التمديد غير دستوري وبالتالي يمكن اعتبار ان المجلس الممدّد له غير شرعي.

وجاء التمديد الثالث لمدة 11 شهراً تنتهي في

20 أيار 2018م على أثر إقرار قانون الانتخابات الجديد رقم 44/2017م، حيث اصبح " التمديد امرا واقعا " كون القانون يحتاج الى مهلة إدارية كافية لاستكمال التحضيرات للانتخابات، و خاصة الحاجة لإعداد البطاقة البيومترية.

إذن لا يمكن التغاضي عن ثغرة قانونية خطيرة تتمثل بعدم انجاز البطاقات الممغنطة خاصة وأنها كانت السبب المباشر لحجة تأجيل الانتخابات ثمانية أشهر، أي تمديد ولاية مجلس النواب للمرة الثالثة على التوالي "كأمر واقع"[3].

و من الجدير بالذكر أن اقتراح قانون الانتخابات جرى في غرفة مغلقة بين أربعة شخصيات يمثلون أربعة أطراف مشاركة في السلطة، ومن ثم تم التفاوض والاطراف الاخرى في السلطة على توزيع الدوائر ليتم تفصيلها على قياس جميع من هم في السلطة بما يضمن إعادة انتاج المشهد السياسي نفسه. وأحيل بعدها المشروع على مجلس النواب حيث أقر بمادة وحيدة. وهو يتضمن ثغرات كبيرة أصابت ديمقراطية الانتخابات في الصميم.

فصيغة النظام النسبي تعطلت في ظل الكوتا المذهبية والجغرافية معطوفا على الخلل في توزيع الدوائر ورفع مستوى العتبة التي تراوحت بين 7 و20% حسب الدوائر والصوت التفضيلي الواحد في القوائم المغلقة. وهذه المسائل أثرت بثقة المواطنين مما انعكس لاحقا على نسب المشاركة المتدنية على الرغم من التوقعات بأن إقرار النسبية قد يحفّز المواطنين على المشاركة.

والقانون الجديد لم يوفر حياد السلطة عندما تجاهل التنظيم الجيد لسلطات الهيئة المستقلة، التي تشرف على الانتخابات برمتها، والتي لا يقتصر دورها على الاشراف على الاعلام والدعاية والانفاق فقط. وربما كان من المفيد تشكيل حكومة مستقلة من غير المرشحين تجري في ظلها الانتخابات لضمان النزاهة و الحياد . إلاّ أن ما جرى هو عكس ذلك تماما حيث ان الحكومة التي نظمت الانتخابات تقدّم 17 وزيرا من اعضائها بترشيحاتهم من بينهم وزراء نافذين ومسؤولين مباشرة عن الانتخابات.

وأدى التغاضي عن البطاقات الممغنطة الى عدم إنشاء المراكز الكبرى لاتاحة امكانية الاقتراع مكان السكن وليس فقط في محل الاقامة، مما يخفّض تكاليف الانتقال ويساهم في تعزيز سريّة الاقتراع. ونظرا لكون القانون يتضمن آليات تطبّق لأول مرة، وعلى رأسها اعتماد القسيمة المطبوعة سلفا والانتخابات في الخارج لغير المقيمين، فقد أظهرت هيئات الأقلام ولجان القيد ولجان القيد العليا عدم الجاهزية الكافية لتلافي ما حصل من الثغرات الجسيمة الإدارية و غيرها.

فقد سُجل عدد كبير من المخالفات من قبل ماكينات المرشحين والجمعية اللبنانية من أجل ديمقراطية الانتخابات، من بينها استغلال مادة في القانون تسمح للمرافقين في الدخول مع المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة والاعاقة والاميين وراء العازل للمساعدة في عملية الاقتراع، فتحولت هذه المادة الى مناسبة لمرافقة المقترعين بكثافة لافتة للنظر و الانتباه.

كما جرى في أكثر من مركز منع مندوبي

بعض القوائم من التواجد في الاقلام من قبل رؤساء هيئات القلم. كما سُجل في دائرة الشمال الثانية إختلافٌ في عدد الناخبين بين لجان القيد ووزارة الداخلية، حيث جاء الفارق بزيادة على أكثر من (66) ألفا، بعد أن جاءت نسبة الاقتراع في الداخلية 52%،في حين أن هذه النسبة جاءت 38%[4] في الماكينات التي تابعت الفرز في لجان القيد.

وسجلت حالات عدم ورود اصوات المرشحين في الصناديق التي اقترعوا بها. كما لوحظ وصول بعض صناديق الاقتراع الى لجان القيد العليا غير مختومة بالشمع الاحمر، زيادة على وجود ملفات في مستوعبات للنفايات خارج اللجان، في حين أُستبدلت بملفات كانت معدّة سلفاً لهذه الغاية. ووجدت صناديق جديدة وفقدت صناديق أخرى. كما جرى تصفير صناديق جاءت من الخارج باعداد كبيرة مما قلّص نتيجة انتخابات غير المقيمين. وجرى تمديد الاقتراع لما بعد الساعة السابعة مساء خلافا لما نص عليه القانون مما زاد عدد المقترعين في دوائر بعينها بعد انتهاء العملية الانتخابية الأمر الذي أثّر بالنتائج. كما واجه رؤساء الاقلام صعوبة في احتساب الاصوات بعد إلغاء قسائم الاقتراع حيث سجّل الغاء ما يوازي الـ38 الف قسيمة .

ونتيجة من هذا الواقع تقدم مرشحون خاسرون بـ17 طعنا[5] أمام المجلس الدستوري في معظم الدوائر شملت الطعن بنتائج 40 نائبا فائزا[6]. والقانون الحالي يعتمد نظام القوائم لذا تغيّرت أسس التقدم بالطعون. حيث ان المرشّح الخاسر كان وحده هو صاحب الحق بالطعن في نيابة المرشّح الناجح على المقعد نفسه في الدائرة ذاتها في مهلة ثلاثين يوماً بعد اعلان النتائج، أما حاليا فيطعن الخاسرون بنتائج المرشحين على واحدة أو أكثر من القوائم المنافسة في الدائرة نفسها وليس بالضرورة على المقعد نفسه. ويُتَوقّع بان تعتري النظر بالطعون بعض الصعوبات كونه يحصل لأول مرة بالإستناد إلى هذا القانون، حيث اضيفت بعض التفاصيل التي لا يلحظُها و لا ينظر فيها نظام المجلس الدستوري.[7]

وفي مؤتمر صحفي غداة إقفال باب التقدم بالطعون صرّح رئيس المجلس الدستوري: أن المجلس لن يتباطأ في إعلان النتيجة، كما أنه لن يتسرّع، مع تأكيده على أن النيابة مستمرّة إلى حين إتمام المذاكرة وإصدار القرار النهائي. وأن المجلس سيقوم بإعادة الاحتساب للتأكد من صحة العدّ، كما سيطّلع على تقارير هيئة الاشراف وتقارير بعثات المراقبة الدولية والمحلية للتأكد من صحة النتائج.

و على هذا الأساس هناك ثلاثة احتمالات: إما أن يتم "عدم ابطال النيابة"، أو يتم ابطالها فتتم الدعوة الى انتخابات فرعية لملء الشواغر، أو يتم تعيين المرشح الخاسر الأول. هذا وأكد رئيس المجلس الدستوري انه لن يُقدم على إلغاء نتائج الانتخابات برمّتها، على الرغم من الثغرات القانونية الجسيمة التي تضمنها القانون، والممارسة الخاطئة التي سجلت في الحملات الانتخابية، وفي يوم الاقتراع، وأثناء الفرز، وعند إعلان النتائج. إن أهمية دور المجلس الدستوري تكمن في صلاحيته النظر بالطعون على وفق ما جاء

في نظامه الداخلي، والتثبت من صدقية وصحة الانتخابات، في الوقت الذي يشكك الكثيرون بنتائجها، ومن شأن ذلك تعزيز ثقة المواطنين بمعظم مؤسسات الدولة، وبدولة القانون نفسها، بعد أن اهتزت في السنوات الماضية، وجاءت الانتخابات بصيغتها التي عرضناها لتقضي على هذه الثقة نهائيا أو تكاد.

واللافت للإنتباه مثلا هو قرار أحد النواب السابقين "بعدم التقدم بالطعن لعدم ثقته بحيادية المجلس الدستوري." وهناك العديد من المواطنين الذين لا يثقون بمؤسسة القضاء نفسها، حيث لم يكن مقنعا أداء لجان القيد ولجان القيد العليا المؤلفة من قضاة وهيئة الاشراف على الانتخابات التي يرأسها قاض، و ذلك بدليل أن معظم الطعون جاءت لتشكك بالنتائج الصادرة عنها. فهل سيكون للمجلس الدستوري الدور في ترميم فقدان ثقة المواطنين بالقضاء وبالتالي بدولتهم ومؤسساتها؟
إن الأيام القليلة المقبلة ستشهد على ذلك

الهوامش:

[1] موقع المجلس الدستوري- القرار 7/2014، http:// www.cc.gov.lb/ar/node/2602

[2] http://www.saidanet.com/News-23669/ النهار-تنشر-محضر-الدستوري-قانون-التمديد-أصبح-نافذا/

[3] سلوى ابو شقرا، جريدة النهار في 16 حززيران 2017: https://www.annahar.com/article/602924-منذ-2009-إلى-2017-ما-الأسباب-التي-أفضت-إلى-التمديد-الأول-والثاني-والثالث

[4] https://bit.ly/2NsSwTK

[5] https://www.attamaddon.com/2018/06/ article-5605.html

[6] http://nna-leb.gov.lb/ar/show- news/349163/17

[7] http://aliwaa.com.lb/مقالات/أرشيف-المقالات/الطعون-الانتخابية-كيف-سيعالجها-الدستوري-في-ظل-النسبي/





د. أميل منذر
روائي لبناني

سعادة الأستاذ

فتحت "نعيمة" النافذة، ومدّت رأسها خارجا ونادت: صبحي، يا صبحي.

- ما الأمر؟ لماذا تصرخين!؟ هل مات أحد في الضيعة؟ هل خلّفت البقرة؟ قال وهو منهمك في صبّ الاسمنت عند مدخل البيت الترابيّ.

- اتّصل الأستاذ "سهيل"، وقال إنه سيأتي بعد قليل لاحتساء فنجان قهوة عندنا.

- لاحتساء فنجان قهوة؟... ولكن من أين سيدخل والاسمنت ما زال طريّا ؟!

ولم يمضِ طويل وقت حتى قدمت سيّارة حديثة الطراز و ترجّل الأستاذ من مقعدها الخلفيّ الأيمن بعدما فتح له أحد المرافقَين الباب؛ فخفّ صبحي الخطى لاستقباله مرحّبا به نافضا الغبار عن ثيابه بيديه: "كيف أصافحك يا أستاذ ويداي متّسختان!! لا تؤاخذني أرجوك".

- بوركت الأيدي التي تبني وتحرث وتزرع، وبورك كلّ جبين يروي تراب الوطن بعرَق التعب؛ فهات يدك أصافحها، وقرّبْ جبينك أقبّله. والله، ثم والله، إن حالفني الحظّ في الانتخابات، لأعملَنَّ على استصدار القوانين التي تحمي العمّال من مزاحمة الأيدي الأجنبية، وحظر استيراد أيّ سلعة نستطيع إنتاجها في بلادنا. لقد صدق جبران حين قال: ويل لأمّة تأكل ممّا لا تزرع، وتلبس ممّا لا تنسج. والله....

- صادق من غير قسَم يا أستاذ... كيف سندخل؟!! سأل وابتسم كمَن يسأل نفسه. ثم أردف: هناك مدخل من تحت. ولكن...

- ندخل من أيّ مكان. لا داعي للحرج يا أخي صبحي. نحن أهل وأبناء منطقة واحدة.

دارَ صبحي حول البيت أمام الرجال هابطا بهم إلى الأسفل، وخطا أمامهم من باب القبو. وإذ خارت البقرة ونهق الحمار، زجرهما صاحبهما: "اسكتا. إنهم من أهل البيت"، وأضاف: "أرجوك لا تؤاخذني يا أستاذ"؛ فردّ الأخير وهو يجتهد في اختيار مواطئ قدمَيه بين الروث: كلّنا فلاّحون يا أخي. كلّنا فلاّحون.

في بيتها رحّبت نعيمة بالزوّار أجمل ترحيب، ودعت سهيلا إلى الجلوس على مقعد لم يتشقّق خشبه ويبُخ لون قماشه كغيره بعد:

"مقاعد بيت فقراء، لكنها نظيفة"، قالت وضحكت؛ فابتسم سهيل: "البرَكة والقداسة في مثل هذه البيوت يا ستّ أمّ صلاح... بالمناسبة، أين صلاح؟ ألم يصبح في سنّ الاقتراع بعد؟"، سأل وضحك؟

- لقد بلغ السادسة والعشرين، أجاب صبحي.

- لكن يا ولدي، قالت نعيمة، لم يجد وظيفة بعد. بعنا كرْم الزيتون حتى تعلّم وحصّل شهادة بدرجة امتياز في علم الكمبوتر. لكنه لا يعمل.

- كومبيوتر يا امرأة، لا كمبوتر، قال صبحي ضاحكا؛ فأضحك الجميع.

- وما أدراني أنا!!

- هذه حال البلد: الشهادات كثيرة والوظائف قليلة، علّق أحد مرافقَي الأستاذ.

- لا تقلقي يا أختي، قال سهيل. إن وفّقني الله ودخلتُ المجلس، فسأتدبّر له وظيفة من تحت الأرض.

- صحيح!!! قالت نعيمة وكادت أن تبكي. "ألله يوفّقك يا أستاذ، ألله يوفّقك". هكذا دعت له رافعةً يديها وبصرها إلى أعلى. ثم قامت لتحضر الفاكهة والحلوى وهي تمسح عينيها.

و بعدما غادروا طلبت نعيمة من زوجها أن يحصل على صورة للأستاذ، ويكبّرها، ويعلّقها على سطح البيت.

- هل علينا أن نفعل هذا؟! ألا يكفي أننا سنمنحه أصواتنا؟!

- لا. لا يكفي. عليه أن يعرف ذلك منذ اليوم، ويعرف أننا معه "على رأس السطح".

- وإذا خسر، ألا نكون قد جاهرْنا بولائنا له وخسرنا معه؟!

- يومذاك قد تُسنَد إليه حقيبة وزارية. يصبح وزيرا. والوزير أقدر من النائب على توظيف الساعين إلى وظائف. الرجُل وعدَنا.

- كيف تعرفين أنه صادق؟!

- سيماء الناس في وجوههم.

حصل صبحي على الصورة من أحد مرافقي الأستاذ، ونزل إلى المدينة وكبّرها. ثم جاء بحدّاد وضع لها مسندا عند حافة السطح وعلّقها عليه مواجهةً للطريق العامّ ليراها الرائح والغادي.

وكان لصبحي جار من أنصار "رفعت" بك، خصم سهيل اللدود في الدائرة. فلمّا رأى الصورة المرفوعة عاليا، انزعج جدّا ونادى صبحي: بكم اشتراك صاحبك يا جار؟ عسى الثمن على قدر الصورة.

- لسنا ممّن يُشرَون ويباعون يا أبا شوقي.

- إذن انزعْ صورة هذا الوجه المقيت. وإذا أردتَ أن تمنح صوتك أحدا، فللشرفاء الصالحين.

- أمثال رفعت بك صاحبك، أليس كذلك؟

- أصبت.

- والأستاذ سهيل؟

- كلّ الناس تعرف من أين جمع ثروته وكيف. لكنّ القانون، في هذا البلد، هو مصْيَدَة للصوص الصغار فقط. الكبار منهم هم دائما فوق القانون.

- أنت لا تحبّه لأنه ليس في خطّ رفعت.

- رفعت بك يا صبحي.

- ليرحم الله مَن اشترى اللقب من الأتراك بالذهب، ثم أورثه لأولاده ولأحفاده.

- إسمعْ. أنا لا أستطيع أن أكون على علاقة طيّبة بجار يناصر أعداء الوطن وسارقي مال الشعب. أنزل الصورة واكسر الشرّ وإلاّ...

- وإلاّ ماذا؟ تضربني؟ إن كنتَ رجُلاً تقدّم.

- لم أكن أعلم أنك عنيد إلى هذا الحدّ، قال والتقط عصا غليظة واندفع باتّجاه صبحي. وقبل أن يخرج أهل البيتين على الجلبة والصياح، كان صبحي قد انتزع العصا من يد خصمه وضربه بها على رأسه ضربة شجّته وأسالت دماءه، مما استدعى نقل الرجُل إلى المستشفى ترافقه زوجته مستنزلةً على صبحي أشدّ اللعنات وأبشع الأدعية. وقبل أن تغيب الشمس كان رجلان من قوى الأمن يقتادان صبحي إلى المخفر مكبّل اليدين. فكما الدول كذلك الناس: الكبار يتخاصمون والصغار يتذابحون.

قبع أبو صلاح في السجن أسبوعين كانت زوجته فيهما تقصد الأستاذ في بيته ومكتبه راجية مساعدته. أوّل مرّة قيل لها إنه غير موجود. في الثانية قالوا إنه في اجتماع هامّ. وفي الثالثة حظيت بمواجهته ورجته أن يفعل شيئاً؛ فوعدها خيرا. وفي اليوم الثاني أوفد الأستاذ إلى المخفر أحد المقرّبين منه طالبا الإذن لرؤية السجين. فلمّا أُخرج إليه مكبّلا، عانقه بحرارة: "الأستاذ يسلّم عليك، ويقول لك إنه لن يألو جهدا حتى يُخرجك مرفوع الرأس موفور الكرامة في أسرع وقت".

- بحياتك لا تنسوني. دمي فداء الأستاذ. هكذا قال وكاد يبكي.

- الأستاذ لا ينسى الأوفياء. يومان ثلاثة وتخرج بإذن الله.

لكنّ الأيّام الثلاثة مرّت، ومرّ غيرها مثلها ولم يتمّ الإفراج عن صبحي؛ فالأستاذ لم يهتمّ، ثم نسي الأمر. وأخيرا أُفرج عنه لقاء كفالة مالية غير قليلة. وفي صبيحة اليوم الثاني حلق ذقنه، وارتدى بزّته الجديدة التي لا تخرج من عتمة الخزانة إلا في الأعياد الكبيرة والمناسبات الرسمية، وقصد المدينة، وابتاع للأستاذ هدية ثمينة، وزاره في بيته، وقدّمها إليه شاكرا ممتنّا: "ليقدّرْنا الله على ردّ بعض جميلك يا أستاذ. لولاك لما زلت قابعا في السجن إلى جانب اللصوص وقطّاع الطرق"؛ فردّ الأستاذ: "أنا لا أتخلّى عن الأصدقاء الأوفياء ما دام في عروقي دم يجري". هكذا أجاب، واعتذر من ضيفه لضيق وقته؛ فغادر أبو صلاح من غير أن يحظى حتى بفنجان قهوة، وفي نفسه تصميم على قتال العالم من أجل الأستاذ الذي "أخرجه من الحبس".

أيّام قليلة انقضت، وكان لقاء في ملعب أكبر نادٍ رياضيّ في القضاء بين أعضاء اللائحة التي ينتمي الأستاذ إليها، والشعب. وكان الأستاذ آخر الخطباء؛ فوقف وحيّا الجمهور، وقال: "أيها الرفاق. أيها الأوفياء. أيها الشرفاء". وللوقت علا التصفيق والصفير وهتافات الفداء بالروح والدم. ولما هدأ كلّ هذا، عاد الخطيب ليقول: أنصاري وأحبّائي. مثلما نحن اليوم معا، هكذا أعاهدكم أن نبقى دائما. أعدكم بأن أكون صوتكم، وحامل قضاياكم، والمدافع العنيد عن حقوقكم. أعدكم بالعمل على تعرية كلّ فاسد ومارق ومتطاول على القانون. أعدكم بأن أكون نصير كلّ صاحب حقّ ومظلوم. أعدكم....

عندئذٍ قاطع الجمهور مرشّحه مجدّدا بالتصفيق والهتاف وقرع الطبول. وإذ بلغت الحماسة من صبحي كلّ مبلغ، اعتلى جدار الملعب العالي وصرخ: "يعيش زعيمنا، يعيش"؛ فردّ الشعب بصوت واحد: "يعيش يعيش". ثم قفز صبحي وركض نحو المنصّة، وانحنى خلف الأستاذ داسّا رأسه بين فخذَيه ونهض به؛ ففتح الأستاذ ذراعَيه يحيّي مناصريه والبسمة ملء شدقَيه. ولمّا كان الرجُل من أصحاب الوزن الثقيل، فإنّ أبا صلاح ناءَ تحته، إلاّ أنه جالدَ وجاهدَ وكابرَ؛ فلم يُنزله عن كتفَيه إلاّ بعدما رقص به ودار. لكن عندما حطّه، لم يستطع رفع رأسه لإحساسه بألم شديد يمزّق ظهره.

تلك الليلة لم ينفع فَرْكُ نعيمة ظهرَ زوجها بالزيت الساخن، ولا المسكّنات نفعت، ذلك أن الألم استمرّ يشتدّ حينا ويسكن أحيانا حتى طلع الصباح. ساعتذاك انزلق صبحي بعيدا عن السرير كلوح خشب يابس، وبدّل ملابسه بمعونة زوجته، وقصد الطبيب في مستشفى المدينة؛ ففحصه، وأمر له بصورة شعاعية تبيّن بنتيجتها أنه مصاب بتمزّق عضليّ مع التواء في فقرات ثلاث. وهكذا مكث في المستشفى أسبوعا كاملا كلّفه كلّ ما كان قد ادّخره من قروش بيض للأيّام السود. لكن ما الهمّ؟! غدا يجد الأستاذ لصلاح ابنه وظيفة مرموقة بمرتّب محترم يعوّضه كلّ ما أنفق.

ودارت عجلات الزمن دوراتها، وأزِفَ الموعد المنتظَر في السادس من أيّار. في هذا اليوم وقف أهل الضيعة أمام قلم الاقتراع طابورا طويلا. وكانت الأقدام لا تتزحزح، كلّ بضع دقائق، إلاّ قليلا. ثم كان أن توقّفت عند أسفل الدرج على الطريق العامّ سيّارة يقودها صلاح وإلى جانبه أمّه. وسرعان ما ترجّلَ من مقعدها الخلفيّ صبحي، وفتح الباب الأيمن، وأمسك بذراع أمّه العجوز وهمَّ بإنزالها؛ فسارع صلاح إلى مساعدته. صوت واحد قد يغيّر كلّ النتيجة كما قال صبحي عندما طلبت منه أمّه الطاعنة في السنّ تركها في البيت. وإذ رأى أنصار سهيل المرأة تكاد لا تقوى على نقل قدمَيها بين ابنها وحفيدها، هبطوا بلمح البصر، وحملوها إلى فوق: "بأهداب الجفون نحملك يا ستّ أمّ صبحي". ثم تركوها بعهدة كنّتها وبعض النساء النصيرات. أما صلاح وأبوه فوقفا في طابور الرجال. والمضحك المبكي أنه لمّا أدلت العجوز بصوتها وأسقطت ورقتها في الصندوق، تركنها كلّهن؛ فراحت ونعيمة تستنجدان بمَن يعينهما ولا مِن معين. هذا المشهد أضحك الناس جميعاً. وأكثر مَن ضحك كانوا أنصار المرشّح رفعت بك.

عندما حلّ المساء وهبط الليل وبدأت النتائج الأولية بالظهور، تسمّر صبحي أمام التلفاز، وشخصت عيناه إلى الشاشة لا ترفّ لهما أجفان. وكلّما أعلن مراسل المحطّة عن تقدّم للأستاذ سهيل، قفز صبحي عن الأرض مهلّلاً فاتلاً شاربَيه. وكلّما أذاع تقدّما لرفعت بك، لعنه، وهمَّ بضربه بالكرسيّ. لا، لم يكن يهمّ صبحي أن يربح الأستاذ سهيل بقدر ما كان يهمّه أن يخسر رفعت بك وينكسر رأس

أبي شوقي.

- البقرة تخور. انزل اطعمْها، قالت نعيمة.

- لتصبرْ قليلاً بعد. مَن أهمّ أهي أم الأستاذ سهيل؟!!

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل عندما أُعلنت النتائج بشكل شبه رسميّ؛ فدخل صبحي غرفة النوم، وهزّ زوجته من كتفها: "نعيمة، يا نعيمة. أنائمة أنتِ؟".

- ما بك؟ ما الأمر؟ سألت وهي بين غافية ومستيقظة.

- لقد فاز الأستاذ.

- أحقّاً؟! قالت واستقامت جالسةً تفرك عينيها، وأضافت: لا أراك متحمّساً. ما الحكاية؟!

- لقد فاز رفعت الزفت أيضا. كم كان بودّي أن يخسر!!

منذ ساعات الصباح الأولى بدأ الناس يتقاطرون إلى دار الأستاذ للتهنئة زرافات ووحدانا، وكان صبحي ممّن تولّوا استقبالهم ووداعهم، وحتى تقديم القهوة والحلوى إليهم. ولمّا هدأت الرِجْل بعد عدّة أيّام، قصد صبحي سعادة النائب المنتخَب ليطلب منه ألا ينسى الوظيفة التي وعده بها لابنه، فاستوقفه الحاجب عند الباب مستوضحاً عن اسمه وطلبه.

- أنا صبحي. أريد أن أسلّم على الأستاذ.

- اعتبرْ سلامك قد وصل. سأدوّن اسمك في السجلّ يا عمّ.

- أريد أن أراه دقيقتين لو سمحت.

- أخشى أنك لا تستطيع. الأستاذ في اجتماع عمل هامّ بعدد من رجال الدولة الكبار.

- ونحن، العمّال الفقراء، ألسنا من رجال الدولة!! ادخلْ وأبلغْ سعادته من فضلك أنني أريد مقابلته. قلْ له فقط: صبحي في الباب.

- حسنا، انتظرْ. هكذا قال ودخل. فلمّا فتح الباب، لمح صبحي الأستاذ ورفعت بك جالسَين وجها لوجه يشربان نخب النصر ويضحكان؛ فصُدم أيّما صدمة، وهمَّ بأن يعود أدراجه لولا أنّ الأستاذ خرج إليه وسأله عمّا به من غير أن يمدّ يده لمصافحته. في تلك اللحظة تذكّر صبحي عبارة الأستاذ: "هاتِ يدك أصافحها، وقرّبْ جبينك أقبّله"، تلك التي قالها له في بيته يوم كان يريد صوته.

- ما حاجتك يا صبحي؟

- لا شيء يا أستاذ، لا شيء.

- أنا لست بناسٍ موضوع ابنك، لكن...

- لكن ماذا؟

- أحوال البلاد ليست على ما يُرام. الرئيس الأميركي ألغى الاتّفاق النوويّ مع إيران، والمنطقة كلّها على كفّ عفريت. ثم إني لا أُخفيك أن اقتصاد العالم في تراجع. ثهناك مصانع كبيرة كثيرة ستصرف عمّالها وتقفل أبوابها إذا قرّرت الدول الصناعية العظمى التخفيف من حدّة الاحتباس الحراريّ الذي يهدّد الأرض.

- حدّة ماذا يا أستاذ؟ ... تركتُك بعافية. عُدْ إلى رفعت بك ضيفك، ولْيوفّقْكما الله إلى إيجاد الحلول الناجعة لأزمات الوطن والمنطقة والمخاطر التي تهدّد العالَم.

وعاد صبحي جارّا قدمَيه وأذيال خيبته، ودخل بيته بطيء الخطوة، مطأطئ الرأس،

متفحّم القلب. ولمّا سألته زوجته عمّا به، أجابها: "صلّي لتنفرج بين أميركا وإيران، ولئلا يصيب كوكب الأرض مكروه". هكذا قال، وخرج قاصدا بيت جاره. ولمّا فُتح له، وقف في الباب حزين المحيّا: "أتسامحني على ما آذيتك به يا جار؟".

- لقد سامحتك يوم تنازلت عن الدعوى في مخفر الدرك.

- ماذا!!! ألم يفرجوا عني بسبب توسُّط الأستاذ...!؟ هكذا قال وتوقّف عند كلمة "أستاذ" كأنه كره أن يلفظ الاسم.

- الأستاذ!!! قال أبو شوقي يبتسم ويهزّ رأسه إنكارا... دعْنا من كلّ هذا الآن. الحمد لله على سلامتك. ادخُل ادخل.

- على أيّ حال نحن مَن أركبناهم على أعناقنا وظهورنا! فلمَ نشكو ونتذمّر!!

- أتريد أن تدخل أم أن تبقى واقفاً في الباب؟! سأل بدعابة.

- لا. لديّ عمل أقوم به. هل لديك منشار حديد يا جار؟

- بالتأكيد. تعال معي.

نزل الرجلان إلى الطابق السفليّ حيث العدّة؛ فاستعار أبو صلاح المنشار، وصعد إلى السطح، ونشر القضبان، وقذف بها والصورة من على السطح إلى تحت.







د. إسماعيل علي

أستاذ في جامعة الأزهر

الأســـــرة في مهبّ الريح

يحرص الإسلامُ على سلامة الأسرةِ مِن التصدّع، ويعمل على صيانتها مِن الانهيار، ويحوطها بكل أنواع الرعاية كي تستمر في عافية وسعادة.

ولَمّا كان رباطُ الزوجية هو أساسَ بناءِ الأسرة، وبقاؤها آمِنةً مطمئنة مرهونا بدوامه؛ فإنّ الإسلام قد حرَص على قوة هذا الرباط واستمراره، حيث سماه اللهُ تعالى: {مِيثَاقا غَلِيظا} [النساء: 21]، و{عُقْدَةَ النِّكَاحِ} [سورة البقرة: 235]، بما يفيد معنى التوكيد والتثبيتِ والدوام، وجعَلَ الطلاقَ دواء مُرّا، وعلاجا أليما، لا يُلجأ إليه إلا حينما لا يكون ثَمَّ علاجٌ سواه.

لكنّ بعض الأزواجِ في هذا الزمن، ومِن الشباب خاصة، قَلّ شعورُهم بالمسؤولية، وتقديرِ قيمةِ الحياةِ الزوجيةِ وخطورةِ شأنِها؛ قد باتوا . مع الأسف . مستعدِّين للتضحية بالأسرة، وأحيانا في وقتٍ تكون قد غدتْ شجرتُها مزدانة بالفروع والأغصان مِن الذرية، متذرِّعين ببعض المشكلات التي يمكن حلُّها، أو الصبرُ عليها والتعايش معها.

فمثلا: أحدُهم . لسبب أو لآخر . قد تتغير مشاعرُه العاطفية نحو زوجته، أو يصيبها الفتور، أو ... فإذا به يسارع الى التفكير في الطلاق، بل ويُقْدِم عليه !!

يُسأل: لماذا؟ فيقول لك: إنه لا يريد أن يظلمها !!

والأولاد؟ فيقول: سأعطيهم نفقاتِهم، وأنا أتزوج بأخرى أشعر معها بالحُب !!

و لهذا نقول : سنوافقك . جَدَلا . فيما تقول ..

لكن:

وما يُدْريك؟ أليس كما تغيرَتْ مشاعرُك نحو أمِّ أولادِك الآن يمكن أيضا أنْ تتغير مشاعرك، بل تنقلب تُجاه الأخرى بعد حين مِن الزمن؟ والنفس الإنسانيةُ في مشاعرها كموج البحر؛ تارة في حالة فَيْض، وأخرى في حالة غَيْض. وهل يوجَد عاقلٌ ذو شعور بالمسؤولية يجعل أمْنَ أسرتِه واستقرارَها مرهونا بالتقلبات العاطفية، والاهتزازات الشعورية، فيتخذ قرارا مشؤوما يترك أضرارا على الأولاد وأمِّهم قد لا يمحوها الزمن وإن طال؟!

وقد قال عمرُ لرجلٍ همَّ بطلاق امرأته: لِمَ تطلقها؟
قال: لا أحبّها.
فقال عمر: أَوَ كلُّ البيوتِ بُنِيتْ على الحب؟
فأين الرعاية والتذَمُّم (أي الإحسان)؟

وما ذكرنا من حال بعض الأزواج ينطبق أيضا على بعض الزوجات؛ فمنهنّ مَن لا تبالي بهدْم البيت، وتشتيت الأسرة؛ حيث تطلب الطلاق لحدوث بعض المشكلات التي يمكن علاجها، أو لأسبابٍ لا تقتضي الطلاق أبدا !!

بعض الزوجات تصرّ على طلب الطلاق، أو تلجأ إلى الخلع لأن زوجها قد تزوج بإمرأة أخرى !!

وزواج الرجل بإمرأة أخرى ليس مسوِّغا شرعيّا للسعي الى الطلاق أو الخلع؛ لأنّ التعدد تشريع الله . تعالى . بشروطٍ أَهمُّها العدلُ والقدرةُ على النفقة، وقد شُرِع لحِكَم كثيرة، لا يتسع المقام للحديث عنها.

وبعض النساء يخطِف بصرَها الإعلامُ والفضاءُ الإلكترونيُّ بما فيه ومَن فيه، فتَمُدُّ عينيْها إلى ما متّع اللهُ به غيرَها مِن زهرة الحياة الدنيا، أو تريد أنْ تكون في مستوى معيشيٍّ وترفيهيٍّ كالذي كانت فيه عند أبيها قبل الزواج، فتكلِّف زوجَها ما لا طاقة له به مِن مطالب المعيشة، وحين لا يستطيع تلبيةَ ما اشتهت نفسُها بسبب إمكاناته؛ تفكِّر في الطلاق، فرارا مما تتصور أنّه جحيم أو سجن، من دون اكتراثٍ بتبعاتِ وأضرارِ هدمِ الأسرة، وقد تندم طيلة عمرها، ولا ينفع الندم إذْ فات الأوان !!

إنّ الحياة الزوجيةَ تقتضي مِن كلا الزوجين الصبرَ، والتحلِّي بالحكمة والأناةِ في معالجة ما عسى أنْ يطرأ مِنْ مشكلات عاطفيةٍ أو ماديةٍ أو اجتماعية.

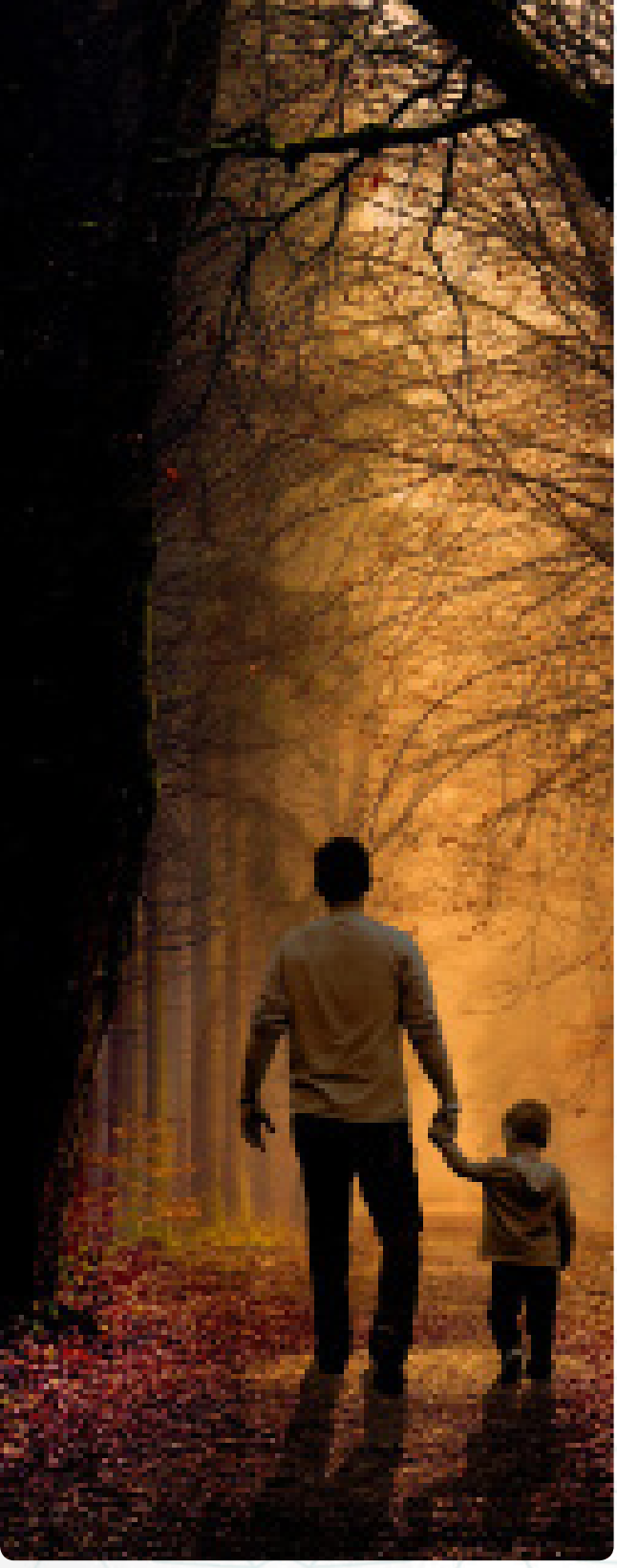
فإذا طرأ شيء مِن المشكلات بين الزوجين فينبغي العمل بجدٍّ وإخلاص لعلاجها، حتى تتعافى الأسرةُ مِنها، وتتجنب آثارها الضارة.

وإذا توافرت النَّوايا الصادقة، والجهود المستبصِرة، والأخذ بالأسباب المناسبة للعلاج، وكان هناك تقوى لله؛ فأغلب الظنّ أنّ رقعة الخرق ودائرة المشكلة ستضيق، بل سوف تتلاشى بتوفيق الله تعالى.

إنّ ذلك المسلك الذي يحدث من بعض الأزواج أو الزوجات؛ مِنْ الاستهانة بقدْر الأسرة، وعدم الاهتمام بالحفاظ على كيانها مِن التصدع والانهيار والشتات، والجرأة في الإقدام على إنهاء رباط الزوجية لأسبابٍ لا تقتضي الطلاق؛ هذا الأمر يعود إلى أسباب قد تكون مجتمِعة، وقد تكون متفرّقة، ومنها . على سبيل المثال :

.تفريط المسلمين .عموما .في إقامة شعائر الدين وشرائعه على الوجه الذي أراده ربُّ العالمين.

.النزعة المادية التي طغت على حياتنا المعاصرة، فأضعفتْ جذوة الإيمان في النفوس، وجرفت معها كثيرا مِن القيم الأخلاقية مثل الإيثار، والمروءة، والكرم، والوفاء، والقناعة بما قسم الله.
- الإستهتار من قبل بعض الشباب حديثي العهد بالزواج.



- القصور في التربية على الشعور بتحمل المسؤولية.

- غياب القدوة الحسنة على المستوى الاجتماعيّ والأُسَريّ.

- صُحبة السوء، سواء عن قُرْب كالصداقة التقليدية التي يتخللها تزاور وتلاقٍ؛ أم عن بُعْد كصداقة الإنترنت بأشكالها المختلفة.

- التدَخُّل السلبيّ من بعض أسرتي الزوجين حال وقوع مشكلة في الأسرة.

ويضاف إلى هذا سبب خطيرٌ معاصر، وهو:

إهمال الضوابط الشرعية والأخلاقية بين بعض الرجال وبعض النساء في مجال وسائل التواصل الاجتماعيّ الحديثة.

وهذا السبب الأخير . تحديدا . كم خرّب، ولا يزال يدمّر بيوتا كانت آمنة مطمئنّة، يكسوها العفاف، وتكتنف أرجاءَها السعادة، ويعُمّها الاستقرار. وإنا لله وإنا إليه راجعون . .
فلنتّق اللهَ جميعا في المحافظة على كيان الأسرة، ولنعمل على سلامته من التصدّع والانهيار، ولنجتهد في حمايتها من أعاصير المشكلات، وتقلبات الأيام.





د. ربى شعراني
أستاذة جامعية من لبنان

كيف نبني سلوك أطفالنا ؟

نحبّ عادة أن نعتقد أننا نتحكم بالأشياء التي نفعلها والخيارات التي نختارها في حياتنا. ولكنّ الأشياء التي تحصل معنا وتجاوبنا مع هذه التجارب كلها عوامل تساهم في تكوين سلوكنا إلى حدّ ما. ومن الممكن تشكيل تصرفات أطفالنا وقولبتها، بل وحتى تدريبهم على فعل أيّ شيء تقريبا. يقول جون واتسون:"أعطني مجموعة من الأطفال الأصحاء، وسأضمن لك أن آخذ أي واحد منهم عشوائيا وأدربه بحيث يصبح أي نوع من المختصين تشاء.

ويعتقد واتسون أن كل الأطفال يولدون من غير أن يعرفوا أي شيء. وأنه من الممكن التحكم بمسيرة أي طفل في الحياة، بما في ذلك الوظيفة التي سيختارها في مستقبله بوساطة التربية.

كيف نعلم أطفالنا حسن التصرف؟
أثناء نموّهم لا يتعلمون المعلومات والمهارات فحسب، بل يتعلّمون أيضا كيف يتصرّفون في حياتهم اليومية.

ويعتقد بعض علماء النفس أن ما يشكّل سلوكياتهم هو رضا الآخرين، مثل الآباء والمعلمين، أو عدم رضاهم. بينما يعتقد علماء آخرون أنهم ببساطة يقلّدون ما يرونه من تصرفات الآخرين.

وإنهم يلتقطون العادات في البيت، فمعظم الأطفال يشاهدون البرامج التلفزيونية التي يشاهدها أهاليهم بالمقدار نفسه. وهذا ما نسميه التعلم بالقدوة.
وهم يتعلمون تصرفاتهم بإعادة و إستنساخ تصرفات الآخرين، فإذا سمع طفل شخصا راشدا يستخدم شتائم وألفاظا بذيئة مثلا، فسيعيد هذا الطفل على الأرجح استخدام هذه الألفاظ النابية.

فما يشكّل تصرفات الأطفال لا ينحصر في الطريقة التي يكافئهم ويعاقبهم بها آباؤهم ومعلموهم والمهتمون بهم، فإذا رأوا الطريقة التي يمتهنها الناس الآخرون يلحظون وجود نمط في تصرفاتهم في الأحوال المختلفة. وعنده

يفترضون أن هذه التصرفات طبيعية في كل حال من الأحوال. وهو ما يعرف بالقواعد الاجتماعية والحضارية، فيرسخ في أذهانهم كيف يتصرف الناس ويتدربون على القيام بهذه التصرفات في عقولهم، حتى إذا وجدوا أنفسهم في موقف مشابه فإنهم يعيدون محاكاة التصرفات ذاتها.

وعلى الرغم من أن هذا قد يكون أمرا حسنا، إذ تعلموا مجموعة الاعتقادات التي تقوم عليها حضارتهم وثقافتهم مثلا، إلاّ أن هذا التقليد قد يكون له جانب سلبي، ففي الكثير من المجتمعات تشتمل طرق السلوك الاجتماعية العديد من أنواع التمييز والانحياز، بما في ذلك التمييز العرقي.

وفي عام 1940م درس عالما النفس كينيث ومامي كلارك الطريقة التي تعلم بها الأمريكيون السود الذين كانوا يتعرضون للتمييز وعدم المساواة في ذلك الزمان، كما تعلّم بها البيض: حيث تمّ تقديم لعبة بيضاء ولعبة سوداء لكلتا المجموعتين من الأطفال. وطلب من كل منهما اختيار اللعبة التي يفضّلها. فاختار غالبية الأطفال البيض والسود اللعبة البيضاء، ممّا دلّ، على أنه قد دخل في ذهن الجميع أن النّاس السّود أقل مستوى من البيض، على الرغم من أن هذا التمييز عند الأطفال السّود كان ضد أنفسهم.

نمو الحس الأخلاقي عند الطفل:
يتعلم الأطفال بأفضل شكل ممكن إذا اكتشفوا العالم وحدهم بدلا من فعل ذلك بوساطة تعليمات المربين. هذا إذا ما تركوا على فطرتهم السليمة. يقول عليه الصلاة والسلام:"كل مولود يولد على الفطرة".

ثم تتوالى مستويات التربية لتتصدرها التربية بالقدوة، ثمّ في مستوى لاحق يهتم الأطفال بتجنب العقاب ومن ثم يجد الأطفال أن أنواعا معيّنة من السلوك قد تؤدي إلى نيل المكافآت.

أما في مستوى رابع، يحاول الأطفال التوافق و ما يعتقدون أنه متوقع (القواعد الاجتماعية) حتى ينظر إليهم على أنهم أطفال طيّبون. في مستوى آخر يعرف الأطفال أن هناك قواعد وضعها عليهم ذوو سلطة كالأهل.

وفي سن المراهقة يبدأ الأطفال بتكهّن الأسباب الكامنة خلف القوانين والقواعد الاجتماعية وكيف تؤثر تصرفاتهم بالآخرين، ليشكّل الأطفال في النهاية حسّا أخلاقيا راقيا.







الأستاذ كمال الدين العفش
محاضر في جامعة الإمام الأوزاعي

الفكر الإداري الإسلامي

الفكر بشكل عام:
كلمة فكر (بكسر الفاء) لغةً تفيد: «تردد القلب بالنظر والتقدير بطلب المعاني، وتعني أيضاً ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما»([1]).
وبحسب لسان العرب: «الفكر هو إعمال الخاطر في الشيء»([2]).
وفي القاموس المحيط: «الفكر هو إعمال النظر في الشيء»([3]).

ويفهم مما سبق من التعاريف بأن الفكر هو مجموعة أمور معلومة تستند إلى العقل بصورة كاملة وتحرك النفس الإنسانية معتمدة التأمل في نقل الحقيقة إلى القول من أجل إصدار الأحكام.

الفكر الإسلامي:
إن أسلمة الفكر قد تفيد بأن المسلم مطلوب إليه ممارسة الفكر ليتميز بذلك من الطريقة التقليدية في التفكير من خلال الإلتزام بالمبادئ والمعتقدات الإسلامية.

وبالتالي فالفكر الإسلامي هو حصيلة ما ينتجه العقل المسلم طبقا للمناهج العلمية التي لا تخالف النصوص الإسلامية في الكتاب والسّنّة حيث المرجعية التحكيمية.

وقد عرّفه «محمد أبو ريدة» بأنه: «الفكر الذي ارتبط بأصول الإسلام ومنهجه مع التوفيق بين الدين والعقل، بل فهم الدين بالعقل»([4]).
وهو بحسب حسن محمود الشافعي: «فهم النص الشرعي في ضوء الوقائع أو تنزيل النص الثابت على وقائع التأريخ المتجددة»([5]).

- الفكر الإداري لدى المسلمين:
إن التشريع الإسلامي يتميز من كل التشريعات و التيارات الفكرية الأخرى، التي تركز إهتماماتها في النواحي المادية، بينما يوازن الفكر الإداري الإسلامي بين المادة والاتجاه الإنساني بدون مغالاة.

وقد أضاف الإسلام إلى مفهوم الإدارة خصائص ومميزات جعلتها أكثر عدالة يذكر منها على

سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أ. الاهتمام بالقضايا الإنسانية خاصة باتجاه الأجراء العاملين، حيث أوصى بهم نبينا صلى الله عليه و سلم قائلاً: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»([6]).

ب. اعتماد مبدأ الشورى وهذا أطلق عليه بموجب النظريات الغربية عبارة (المشاركة في اتخاذ القرارات) لقوله جلّ وعلا: [وشاورهم في الأمر] [آل عمران،159].

ج. التركيز في تعزيز دور الرقابة الذاتية، فالمراقب أولاً وأخيرا هو الحق عزّ و جلّ، مصداقا لقوله تعالى:[ما يلفظ من قولٍ إلاّ لديه رقيبٌ عتيد] [ق،18].

د. الحث على العمل الذي أولته الشريعة الإسلامية غاية الاهتمام، وذلك بوجه البطالة وآثارها الهدامة، وقد قال سبحانه وتعالى: [وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسُوله والمؤمنون وستُردون إلى عالم الغيب والشهادة فيُنبئكُم بما كنتم تعملون] [التوبة،105].

هذا غيض من فيض، فالشرع الإسلامي الحنيف وجه الإدارة أفضل توجيه، وحرص على تطبيقها أحسن تطبيق، وقد أنتجت هذه الإدارة حضارة عملاقة مضى على ولادتها أكثر من ألف وأربعمائة عام، وتستمر بنجاح اقتصاديات دول إسلامية كماليزيا وتركيا وغيرها على الرغم من المعوقات التي بثها في وجهها الإستعمار، و على الرغم من كثير من التحديات والصعوبات التي واجهت ولا زالت تواجه الإرادة الإسلامية.

ولا شك أن الفكر الإداري الإسلامي قد أبصر النور منذ هبوط الوحي على النبي محمد صلى الله عليه و سلم، حيث اشتملت معاني القرآن الكريم في كثير من آياته على الدعوة للإهتمام بوظائف الإدارة بشكل عام من تخطيط وتنظيم وتوجيه ورقابة.

وتعزز هذا الفكر مع الهجرة النبوية إلى يثرب التي سميت بعدها بالمدينة المنورة واستمر مع الخلافة الراشدة، وكذلك في الدولة الإسلامية التي ترامت أطرافها، و الإسلام أضاف لمفهوم الإدارة خصائص ومميزات جعلتها أكثر عدالة وإنسانية، ويؤكد ذلك ابن الهيثم بقوله: «أن مبنى الإسلام في منهجه قائم على الحكم الصالح ومصالح العباد، فكله عدل ورحمة ومصالح وما يناقض ذلك فليس من الإسلام في شيء»([7]).

والإسلام يدعو إلى إعمال العقل وإطلاق الفكر في شتى حقول المعرفة سواء الكونية منها أو الإنسانية بما في ذلك علوم الإدارة والتي أطلق عليها مصطلح «التدبير».

وإنما اشترطت الشريعة الإسلامية الإعتدال والوسطية في التطبيقات الإقتصادية والإدارية مصداقا لقول الحق تعالى: [والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما] [الفرقان، 67]. وقدر الإسلام المعرفة التي تقود إلى الحكمة والتي تعتبر بمثابة الثروة الفكرية،

وقد قال تعالى في ذلك: [يُؤتِى الحِكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيرا كثيرا وما يذّكرُ إلا أُولوا الألباب] [البقرة، 269].

وكما قيل: «إن القرآن الكريم أوجب التدبير والتفكير في أسرار الكون وخفايا الوجود ووصف المتأملين في هذا بأنهم وحدهم أولو الألباب و وصف الذين لا يتدبرون بأنهم لا يعقلون»([8]).

وقد اهتم الإسلام بتنظيم العمل باعتباره جزءا من التنظيم الإداري العام بهدف ضمان تقدم المجتمع في شتى المجالات.

ولا شك أن الخالق عزَّ و جلّ نظم هذا الكون المنظور أحسن تنظيم وخلق آدم عليه السلام وذريته وأكرمهم أفضل تكريم مصداقا لقوله جلّ وعلا: [ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً] [الإسراء، 7]، ثم قال عزّ و جلّ: [أهُم يقسِمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا] [الزخرف، 32]. وقال أيضا عزّ و جلّ: [ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سُخريا ورحمة ربك خيرٌ مما يَجمعون] [الزخرف، 32]. وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية إعتماد الهيكلية الإدارية في النظام الإداري الإسلامي لتحقيق حسن إنتظام العمل.

زيادة على إهتمام الإسلام بحسن الأداء أيضا وربط ذلك بالمثوبة والرضا حيث قال تعالى: [لقد كان لسبإ في مسكنهم آيةٌ جنّتان عن يمين وشمال كلُوا من رزق ربكم واشكروا له بلدةٌ طيبةٌ وربّ غفورٌ] [سبأ، 15].

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم محفزا حسن الأداء والاستمرار في النشاط الإنتاجي الدنيوي: «إنْ قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»([9]). ومما يفيد الحديث استمرار الحركة والأمل بالحياة والتطلع إلى المستقبل بعين التفاؤل واغتنام حتى الفرصة الأخيرة بالإنتاج والإستثمار وحسن التدبير بعيدا عن اليأس والإهمال.

ومما يلفت الإنتباه في هذا الحديث الشريف عبارة « في يد أحدكم » التي منها نفهم بأن الوضع الطبيعي والعادي للإنسان المسلم أن يكون عاملاً منتجا وبعيدا كل البعد عن البطالة والفراغ. وكل عمل كما هو متعارف عليه بحاجة لإدارة وتدبير.

ومصطلح الإدارة هذا حديث نسبيا وقد جاء تحت مسمى «التدبير» في كتب التراث الإسلامي، ومثال ذلك ما ذكره الماوردي في الأحكام السلطانية والقائل: «ولما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور أحق وكان امتزاجها بجميع الأحكام عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير، أفردت لها كتابا»([10]).

ومن الملاحظ إن الفكر الإسلامي في مجال الإدارة لم يأتِ إلاّ بكليات وقواعد عامة، تاركا التفصيل للأفراد على وفق ملاءمة ذلك

لمصالحهم وصولاً إلى اعتماد المصالح المرسلة كمصدر من مصادر الفقه الإسلامي. وبالتأكيد فإن النظرية الفكرية الإسلامية أدخلت على مفهوم علم الإدارة بعدا إجتماعيا وإنسانيا هاما له بالغ التأثير بالسلوك الإداري بشكل عام، وبذلك فإن المدرسة الإدارية المسماة بمدرسة العلاقات الإنسانية ورائدها (دالتون مايو) هي نظريا الأقرب إلى المفهوم الإسلامي للإدارة.

ولم تقتصر أحكام الشريعة الإسلامية على تنظيم العلاقة بين الإنسان وخالقه، وإنما تعدته إلى تنظيمها بين البشر والدولة ولم تفصل بين الوظائف الدينية والإدارية من خلال ضمها أحكام المعاملات إلى جانب أحكام العبادات.

والحقيقة أنه إثر المحن التي عصفت بالأمة الإسلامية على مرّ الزمن وخاصة خلال العهود الإستعمارية في القرنين الأخيرين الماضيين، نسبت مفاهيم ومصطلحات لعلماء غربيين وشرقيين من غير المسلمين، في حين كان الفكر الإداري الإسلامي سباقا على هؤلاء بقرون، ففي الإسلام ما يحقق للمجتمع المسلم اقتصادا مميزا وإدارة متميزة أو اجتماعا متميزا، فلماذا لا نقول: «ذلك هو الإسلام»([11]).

و زيادة على كل ما تقدم فقد برزت آراء إسلامية حديثة تميزت من قراءة جديدة لمعاني الإدارة الصالحة وإن وجدت في مجتمعات غير مسلمة، و نشير إلى ما ذكره الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسيره للآية الكريمة (105) من سورة الأنبياء: [ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثُها عبادي الصالحون] [الأنبياء، 105] حيث قال في معناها: «أن الصالحين هم من أصلحوا إدارتها فقط، مستنداً للقول الشائع بأن الدنيا قد تصلح بالعدل والكفر ولا تصلح بالإيمان والظلم»([12]). ويؤيد ذلك ابن تيمية القائل: «إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة»([13]).

ويؤيد ذلك ما ذكره القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: [وما كان ربُك ليهلك القُرى بظُلمٍ وأهلُها مُصلحون [هود، 117]، حيث فسرها بقوله: «وماكان ربك ليهلك أهل القرى بشركهم وكفرهم وحده حتى يضاف إليه الفساد»([14])، فالإدارة الصالحة في الدنيا سبب لعمارة البلاد ورقيها ونمو اقتصادها، بينما عدم الصلاح الإداري هو سبب لخرابها وهلاك العباد.



بيروت: مؤسسة الرسالة، 2009م، ج19، ص 86.

الهوامش :

([1]) الفيومي، محمد، المصباح المنير، القاهرة: المكتبة الوقفية، 2011م، ص 656.

([2]) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت:711هـ)، لسان العرب، باب: الراء، فصل: الفاء، بيروت: دار صادر، 1962م، ص 112.

([3]) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، القاموس المحيط، بيروت: دار الكتب العربية، 2007م، ص 267.

([4]) أبو ريدة، محمد، أمهات المسائل في الفكر الإسلامي، جريدة القبس الكويتية، 6، 10، 1989م، ص 12 – 13.

([5]) الشافعي، حسن محمود، فكرنا المعاصر، القاهرة: دار الثقافة، 1990م، ص 8.

([6]) العسقلاني، ابن حجر، أحمد بن علي (ت:852هـ)، التلخيص، دبي: قرطبة للنشر، ط1، 1995م، ص 132. رواه ابن ماجه.

([7]) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت:751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، القاهرة: مطبعة السعادة، 1955م، ج3، ص 14.

([8]) غلاب، محمد، المعرفة عند مفكري المسلمين، القاهرة: دار المعرفة، 1966م، ص 121-122.

([9]) الشيباني، أحمد بن حنبل (ت:241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: الأرناؤوط،

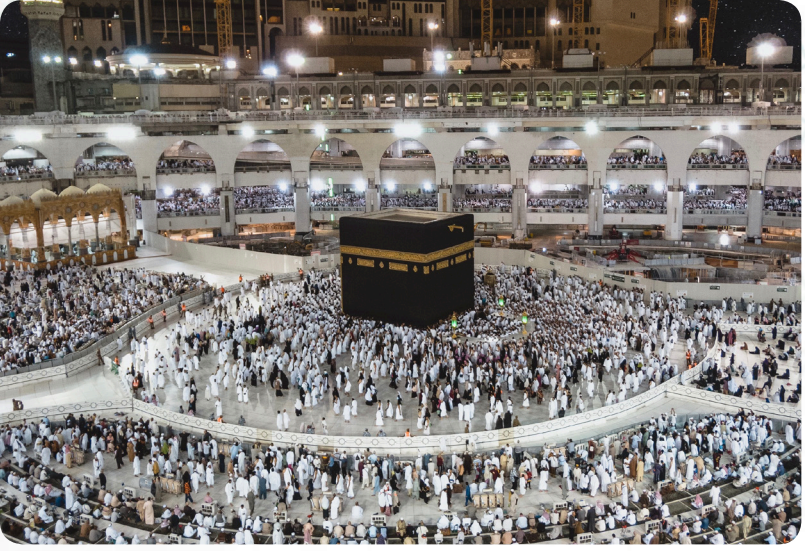
([10]) الماوردي، علي بن محمد (ت:450هـ)، الأحكام السلطانية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م، ط1، ص: 3.

([11]) أدهم، فوزي كمال، الإدارة الإسلامية، ص 6.

([12]) النابلسي، محمد راتب، تفسير النابلسي، عمان: مؤسسة الفرسان للنشر، 2016م، ط1، ص: 512.

([13]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت:728هـ)، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، 1995م، جزء 28، ص 146.

([14]) القرطبي، علي بن أحمد (ت:456هـ)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م، ط: 1993، مجلد 60، جزء 9، ص 114.



نتركم بحفظ اللّه

التوحيد

وهو في اللغة جعلُ الشيءِ واحدا غيرَ متعدِّد، وفي اصطلاح المُسلمين، هو **الإيمان بأنّ الله واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله،** لا شريكَ له في مُلكه وتدبيره، وأنّه وحدَه المستحق العبادة فلا تصرف لغيره، و يعتبر التوحيد عند المسلمين جوهر العقيدة الإسلامية، بل محور الدين كله، حيث جاء في القرآن الكريم : (و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون)

و التوحيد أول ما ينطق به في الشهادتين، و هكذا فهو بصفة عامة الأساس المهيمن على قيم و مباديء الإسلام كافة.

ويتضمّن التَّوحيد في الإسلام نفي وجود أيّ آلهة أُخرى مع الله، ونفي الشَّبه بين الله وبين خلقه، فالله في الإسلام واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لا شريك ولا نِدَّ له، منفردٌ في التصرّف في مُلكه، لا يُسأل عمّا يفعل، و لا يخرج على مشيئته وإرادته شيء، بل هو الفعّال لما يريد، لا رادّ لأمره، ما شاءه كان، وما لم يشأه لم يكن، ليس بجسمٍ، ولا يشبه الأجسام، ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء، وهو ليس محدودا بزمان ولا مكان، بل الزمان والمكان من خَلقه وتدبيره.

و يحكى عن الإمام أبي حنيفه رحمه الله أن قوما من أهل الكلام أرادوا البحث و إياه في تقرير توحيد الربوبية فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في نهر دجلة تذهب فتمتلىء من الطعام و المتاع و غيره بنفسها، و تعود بنفسها، فتمتلئ بنفسها، و تتفرغ بنفسها، و ترجع كل ذلك من غير أن يدبرها أحد، فقالوا هذا محال لا يمكن أبدا، فقال لهم : إذا كان هذا محالا في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه و سفله ؟

و في هذا المعنى قال العارف إبراهيم الخواص:

لقد وضح الطريق إليك حقا
فما أحد أرادك يستدلُ

و قال أبو العتاهية:

فواعجبا كيف يعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحدُ
و لله في كل تحريكةٍ و تسكينةٍ أبدا شاهدُ
و في كل شيء له آيةٌ تدل على أنـه واحدُ



زكـاة

أمـوالـك .....

اسـتثمار لآخرتـك



للإستعلام: 08622662

دار الفتـوى

صندوق الزكاة - البقاع









اللغات التي تنشر بها: العربية والفرنسية والإنكليزية والإسبانية

عدد الإصدارات لتاريخه: أكثر من ٧٠٠٠ عنوان كتاب

عدد الإصدارات السنوية: أكثر من ٣٥٠ عنوان كتاب جديد

هاتف: 12 / 11 / 804810 5 961+ - فاكس: 804813 5 961+
ص.ب: 9424 - 11 بيروت - لبنان رياض الصلح - بيروت 2290 1107
e-mail: sales@al-ilmiyah.com - info@al-ilmiyah.com
www.al-ilmiyah.com

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohamad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban